بسم الله الرحمن الرحيم

كيف نؤسس نظرية لنقدنا العربي الإسلامي؟

لم يهتمَّ نقدنا العربيُّ القديم بإنشاء نظرية متكاملة في النقد الأدبي، أو بتأسيس المذاهب على طريقة النقد الحديث، بل كان – في مجمله – نقداً جزئياً قلَّ أن تناول العمل الأدبيَّ بأكمله.

كان – في أغلبه – على شكل آراء متناثرة مبعثرة، يتَّسم كثير منها بالأصالة والعُمق، ويتَّفق مع أحدث ما توصَّلت إليه المناهج النقديَّة الحديثة، ولكن الطابع العامَّ لهذه الآراء النقدية كان الإيجاز والجزئيَّة، ولم يأخذ شكلَ النظرية، أو المذهب، أو المنهج، بالمفهوم العلميّ المعاصر.

في العصر العباسي نَضِجَ النقد العربي نضجاً كبيراً، وبدأ – في القرنين الرابع والخامس الهجريين خاصة – يتَّجه إلى العُمق والتكامل، وراح يعالج قضايا نقديَّة هامَّة، ثم تبلورت فيه شبه نظرية متكاملة للشعر تمثَّلت فيما عُرِف بمصطلح «عمود الشعر».

كما تشكَّلت على يدَيْ عبدالقاهر نظريةٌ نقدية بلاغية لغوية هي «نظرية النَّظْم» التي حاولت الخروج من عباءة الجزئية إلى ثوب النصّ المتكامل، واجتهدت بمهارة أن تتجاوزَ ثنائية «اللفظ والمعنى» إلى معالجة النصّ الأدبيّ في إطار من التكامل بين هذين العنصرين من خلال النَّظم أو ما أصبح يُعرف في الدراسات الحديثة بالأُسلوب، ولكن ذلك كلَّه لا يعني أن هذا النقد التراثيَّ سطحيٌّ، أو أنه مما ينبغي أن يُتجاوز في أيّ درس أدبيّ حديث.

إن في هذا النقد نظرات عميقةً، وآراءً سديدة في غاية النفاسة، وإن كثيراً منها ليتَّفق مع أحدث ما توصَّلت إليه الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة، ولكنَّ هذه النظرات متناثرةٌ هنا وهناك، مبعثرةٌ عند هذا الناقد أو ذاك.

وإذا أُتيح لهذه الآراء المبعثرة من يجمعها وينسّقها فإن هذا سيكون عملاً عظيماً يسهم في بناء نظرية النقد العربيّ المنشودَة، ويكون هو اللَّبِنَة الأساس في هذا البناء.

ولكنَّ الذي لا ينبغي أنَ نغفُلَ عن ذكره كذلك، وأَلا نتحرَّج من الإفصاح به، أن ما خلَّفه لنا نقادُنا العرب القدماء لا يكفي وحدَه لبناء نظريَّة أو منهج لنقد عربيّ أو إسلاميّ معاصر، بل لابد من أن نستعينَ – في أثناء ذلك كلّه – بما يُلائمنا من آراء النقد الغربيِّ الحديث، مما لا يخرج عن قيمنا وذوقنا ولغتنا وطبيعة أدبنا العربيِّ والإسلاميِّ.

مدير التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٧) العدد (١٠٦)
شعبان - شوال ١٤٤١هـ
نيسان (أبريل) - حزيران (يوليو) ٢٠٢٠م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٦٢٧٤٨٢
٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٦ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أو ما يعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

حسن مقبول الأهدل

ناجي عبداللطيف

خليل محمود الصمادي

د. الطيب رحماني

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره.
- تنشر موضوعات المجلة في حلقة واحدة.
- تكتب الموضوعات المرسلة على الحاسوب مع ضبط الشعر، ولا يزيد حجم المقال على عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لا ينشر لا يعاد إلى صاحبه.
- ترسل صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصّاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات

■ **الافتتاحية:**

– كيف نؤسس نظرية لنقدنا العربي الإسلامي؟	مدير التحرير	١
– الانفتاح النقدي عند الدكتور عماد الدين خليل	د.إسماعيل إبراهيم المشهداني	٤
– الأدب الإسلامي والتحديات الفكرية المعاصرة	د. مصطفى عطية جمعة	١٤
– رؤية إسلامية لأدب الأطفال في أشعار وقصص محمد الشرقاوي	د. صلاح عدس	٢٠
– الشاعر التركي يامان داده حياته ومقتطفات من شعره	د.عبد الستار الحاج حامد	٣٨
– العلاقة بين الرجل والمرأة بين القرآن الكريم والشعر العربي	د.زينب بيره جكلي	٤٢
–أحمد محمود مبارك وومضة في جبين الجواد	ناجي عبد اللطيف	٥٢
– قراءة فنية في التغريبة اليمانية للقاص د.حسين علي محمد	لبابة أبو صالح	٦٠
– الاقتباس القرآني في رواية نردين أبو نبعة "قد شغفها حباً"	خليل محمود الصمادي	٧٦
– رمضان في مرآة أمير البيان الأستاذ أحمد حسن الزيات	محمد أحمد عبد القادر	٨٢

■ **الورقة الأخيرة:**

– لا تقرأ	د.أحمد محمد كنعان	١١٢

نصوص إبداعية

– مشاهد من يوم القيامة – شعر	د.عبد الرحمن العشماوي	١٠
– برمج نعيك – خاطرة	د.أحمد بسام ساعي	١٧
– غرفة من بحر النبوة – شعر	إبراهيم يوسف منصور	١٨
– يا حادي الركب – نثيرة	د. رجاء عبيد	٢٩
– السيدة سِتُّون – شعر	د.عائض القرني	٣٦
–انتظار – قصة قصيرة	عبده حقي	٤١
– المقامة القصصية – مقامة	د.غازي مختار طليمات	٤٨
– ظلُّ الأيك – شعر	د.عبدالرزاق حسين	٥٨
– جليس صالح – شعر	ناصر بن عبد الله الخزيّم	٥٩
– يا جنتي – شعر	يوسف محمد سعودي	٦٣
– البصمة – خاطرة	إيمان شراب	٦٤
– رذاذ الحروف –شعر	خديجة أبي بكر ماء العينين	٦٥
– جواز سفر – شعر	محمود مفلح	٧١
–الشيك المنتظر – قصة قصيرة	محمود أحمد علي	٧٢
– متى يصحو الرَّبيع بنا؟ – شعر	مصطفى عكرمة	٧٩
– سماح – قصة قصيرة	د.منى محمد العمد	٨٠
– في ذكرى وفاتها الثالثة – شعر	عبدالله بن محمد المسعد	٨٥
– عمر واليتامى – مسرحية شعرية	يحيى حاج يحيى	٨٦
– من وحي اللقاء والغياب – شعر	مفيد فهد نبزو	٨٨
– وربَّما – شعر	نجاح عبدالقادر سرور	٨٩
–أبو دقيق! – قصة قصيرة	حمدي عمارة	٩٤
– متى؟ – شعر	د.حيدر البدراني	٩٨
– قلوب الورد تنتحب – شعر	أشرف محمد قاسم	٩٩
– عدن الجمال – شعر	ناصر بن حيدة	٩٩
– الإسفار عن الشوق – شعر	عامر زردة	١١١

الأبواب الثابتة

■ **لقاء العدد:**

– مع الأديب حسن مقبول الأهدل	حوار: محمد أحمد حسن فقيه	٣٠

■ **تراث الأدب الإسلامي:**

– توقير الصحابة – شعر	بديع الزمان الهمذاني	٥١

■ **ثمرات المطابع:**

– البعد الحضاري للغة العربية	د.أحمد تمَّام سليمان	٦٦

■ **رسالة جامعية:**

– المصطلح النقدي لدى محمد حسن بريغش قضايا وإشكالات ومفاهيم	د.الطيب رحماني	٩٠

■ **مكتبة الأدب الإسلامي:**

– المهارات الوظيفية للغة العربية تأليف د.وليد قصاب	عرض: التحرير	١٠٠

■ **أخبار الأدب الإسلامي:**

	إعداد: شمس الدين درمش	١٠٧

الانفتاح النقدي عند الدكتور
عماد الدين خليل

د.إسماعيل إبراهيم المشهداني – العراق

نقصد بالانفتاح النقدي: سلوك سبل الانفتاح التي عرضها الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل في طروحاته النقدية، ولذا يبدأ بشجب المتأثم من قراءة الأعمال الأدبية الغربية أو عدها ترفاً لا ضرورة له، وهذا ما يضيع فرصة طيبة لتصعيد المواهب وإرهافها، وتملك رؤية أكثر عمقا ونفاذا وزادا غزيرا لمواصلة الإبداع[1].

ويرى د.عماد الدين خليل أن الانفتاح النقدي على الآخر سيفيدنا في اثنتين:

تتحقق الأولى: في تعميق الوعي الأدبي، وشحذ الطاقات في منح قدرات أكثر مضاء في الأعمال الأدبية.

أما الثانية: فتسهل الاطلاع على معاناة الآخر من فوضى وتخبط وتحلل، الأمر الذي يزيدنا ثباتا وإصرارا على مبادئنا في الاستقامة والوئام[2].

إن القضية المحورية التي ركز عليها د.عماد الدين خليل هي الحد من فكرة الاستقلالية في النقد، لأن فيه مساحات مشتركة بإمكان الجميع الإفادة منها وتوظيفها في ممارساته. ويمكن للناقد المسلم أن يفيد إلى حد ما من النظريات التي طرحت لتفسير النص الأدبي، ولكن يتوجب عليه أن يظل

متمسكا بنظرته الشمولية وموقعه الوسطي[٣].

يتبنى د.عماد الدين خليل الانفتاح لإتاحة المشروعية الفنية والمنهجية لامتلاك معطيات المناهج الغربية، كما تساعده في ولوج بنية كل منهج مباين للآخر والكشف الدائم عن إيجابياته وسلبياته، لأخذ الأولى ونبذ الثانية.

وقد تعاملت الكتابات النقدية الإسلامية مع هذه الإشكالية وفق اتجاهين:

اتجاه الرفض، واتجاه الانفتاح والتمثل. يرفض د.عماد الدين خليل الاتجاه الأول لأنه يؤدي إلى الطريق المسدود، ويشكل علامة ضعف وإنذار بالسقوط في السطحية، وقد يخفت هذا الرفض ليأخذ مبدأ الحذر الواسع، ويمكننا التمثيل لذلك، بموقف د.سيد سيد عبد الرازق، الذي انتقد فيه مذاهب الأدب الغربي واحدا واحدا، ابتداء بالكلاسيكية ومرورا بالرومانسية والواقعية...[٤].

أما الاتجاه الثاني: وهو الأجدر بالقبول، لأنه يتكفل بازدهار وتفتح النقد الإسلامي، وهنا يقترح د.عماد الدين خليل على النقد تحقيق التصالح الموزون بين التراث والمعاصرة، بقدر ما يتعلق الأمر بالتنظير والممارسة النقدية، واستعارة التقانات المتقدمة لدى الآخرين، وخاصة الغرب[٥].

وهذا ما يذهب إليه د.محمد إقبال عروي أيضا بقوله: إن النقد المعاصر يجب أن يعمل في اتجاهين اثنين: الأول يستثمر العطاء البلاغي القديم، والثاني

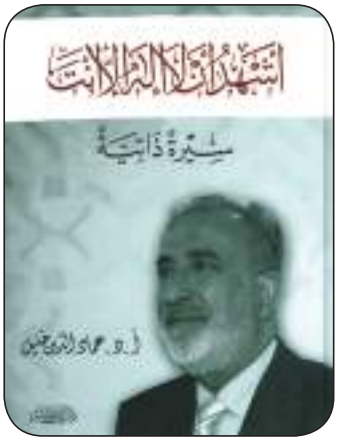

د. محمد إقبال عروي

يتحقق بالانفتاح على الدراسات الحديثة في النقد الغربي[٦].

فالانفتاح على النقد الغربي لا يعني الانصهار فيه أو الانكفاء به، بل يعني سلوك معادلة متوازنة بين النقد العربي والغربي. وقد شكل الانفتاح همَّ د.عماد الدين خليل النقدي منذ البداية، وذلك في قوله: إنّ الأخذ عن الآخر «ليس خطأ بحد ذاته،على الاطلاق، بل العكس هو الصحيح، إذ ((الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها))[٧]، كما يحدثنا رسولنا عليه الصلاة والسلام»[٨].

يؤكد د.عماد الدين خليل على عالمية الفن وشمول الجمالية، فمن الواجب الإفادة من التجارب والأشكال في صياغة تجاربه الإبداعية ورؤاه. وسيعاني النقد –دون انفتاحه– من طغيان التكرار والسطحية التي تجد طريقها في الانعزال وعدم التحاور والتفاعل، فالانغلاق يضر بالنقد والإبداع معا، فبينهما أكثر من همزة وصل، ويعد أولاهما مؤثرا في الآخر.

ينتقد د.عماد الدين خليل الأخذ المطلق من الغرب دون مراعاة لخصوصيات تلك المعطيات من

جهة وخصوصية ذاتيتنا النابعة من عقيدتنا من جهة ثانية، ليؤكد أن النقد الاسلامي يعرف كيف يفيد من الآخر، ليصنف الانفتاح الى ثلاثة مكونات، هي:

١. الرفض: فالأدب اليوناني القائم على الميثولوجيا الوثنية ظل معزولا الى حد كبير عن ذاكرة المسلمين.
٢. القبول: للعلوم الصرفة – كالرياضيات والطب مثلا– واعتماد قانون تراكم الخبرات، والإضافة إلى ما قدّمه الآخرون.
٣. التعديل الجوهري: ويتحقق بتعديل ما لا يتفق مع معطياتنا بإخضاع عناصره لرؤيتنا، كترجمة الفلسفة اليونانية كأداة للجدل وليس هدفا معرفيا[٩].

فقبول الآخر على الإطلاق رغم توافر مساحات واسعة فيه تعد مضرة وتختلف عن خصوصياتنا الإسلامية، وعليه يجب التمييز بين النجدين في تلك المناهج والإفادة من أحدها دون الآخر.

وهذا ما يؤكد رفضه للتطرف في الانفتاح الكلي على الآخر أو الانغلاق دونه كليا، ولذا يريد الحد من الاستقلالية لإفساح المجال أمام الانفتاح الذي اكتسب مشروعيته من خلال أسس معتبرة:

١. الأساس الشرعي: فقد أسس الإسلام لضوابط التعامل مع الآخرين في نفس ذويه لتكون الأمور جلية في أذهانهم، فالأدب يؤدي إلى التعارف الذي أمرنا به، ويجب علينا

أن نعترف بأننا لا نملك كل شيء، وأننا في حاجة إلى الإفادة من الآخر.

٢. الأساس النقدي: انطلاقا من الحديث النبوي: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)[١٠]، إلى وجوب إتقان العمل سواء أكان أدبيا أم نقديا، ولا يتحقق الإتقان إلا بالانفتاح على الأدب والنقد الغربي، فبقدر ما نحن بحاجة إلى تراثنا، نحن بحاجة إلى الجديد، ومن ثم العمل – بكل بصيرة وحذر– على صهرها في بوتقة واحدة لصنع أدب راق ومتميز[١١].

تفرض المعاصرة علينا الانفتاح على الآخر، أما الاستقلالية فتفرض علينا رفض كل المناهج النقدية المعاصرة، ويجب علينا رفض الاستقلالية عندما تتجاوز حدودها الطبيعية وتتحول إلى رفض تام لما أنتجته العقلية الغربية.

وهذا ما يؤيده د.عماد الدين خليل في ضرورة الانفتاح على كافة المعطيات والتقنيات العلمية المساعدة على مستويي المنهج والموضوع، لتحقيق إنارة أشد للأعمال المنقودة، ويشترط امتلاكه للاصول العقدية الواضحة والمستقلة[١٢].

ويطرح سؤالا مفاده: أكل نتاج الغرب الأدبي هو علمي وصائب بالضرورة ويتحتم علينا قبوله؟ ليجيب بتخطئة توجهين: الأخذ المطلق أو الرفض المطلق، فالأول قاض على الأدب، والثاني محجر له، فليس ثمة إذن غير

الاخذ بمقدار، الأخذ الممحص الذي يعرف كيف يختار ويوازن في ضوء معايير ثابتة مستمدة من العقيدة الإسلامية[١٣].

ويذهب إلى أن التوغل في الأدب الغربي سيفيدنا في اثنتين: سيسهم في تعميق وعينا الأدبي، ومنحنا قدرا أكثر مضاء في أعمالنا. ويطلعنا على مكامن السلبية فيهم كالفوضى والتناقض[١٤].

وقد بنى حديثه على وجود هوة بين الأدب الإسلامي والمذاهب الغربية المتنكبة للقيم. وهذا ما أكده في قوله: إن مطالعاتنا في أي عمل أدبي غربي سنجدها تتدفق باتجاه مناقض لمجرى القيم، وهذا ما يؤكد لنا الأخذ عنهم بقدر ما يمكننا فنيا ويزيدنا قدرة على التعبير الجمالي المؤثر للتجربة الخاصة التي يعيشها الإبداع[١٥].

يهدف د.عماد الدين خليل إلى الانفتاح الواعي وعدم الاستقلال عن الآخر، فمع الاستقلالية التامة أو الانفتاح المطلق، سنصل إلى غايتين متناقضتين بلا توسط، وهما: الجمود أو الموت الأدبي. وقد عمد في نقده إلى المزاوجة بين معطيات النقد العربي والغربي على حد سواء.

إن ثنائية (الأنا/الآخر) تقوم على التكامل والتحاور وليس على التضاد الكلي، الذي صاغ الثنائية وفق مبدأ الصراع والسيطرة التي ترسخ الاستقلالية والانعزالية القاتلة للأدب والنقد معا في تطلعاتهما العالمية.

وفي سياق متصل بالإبداع،

يدخل د.عماد الدين كل نتاج أدبي يلتقي مع التصور الإيماني في حقل الفن الإسلامي، بعيدا عن عقيدة وسلوك صاحبه. ودرس مسرحية (اليخاندرو كاسونا) مركب بلا صياد. وأبرز المضامين التي تميز بها[١٦]. وإن كان د.عماد الدين خليل قد عرض مسألة قبول تلك الأعمال أو رفضها وفقاً لمبدأ تكافؤ الأدلة الذي أقره التوحيدي[١٧].

ولا يعني هذا عرضه للأعمال الغربية المتوافقة معه فحسب، بل نجد أحيانا عرضا لأعمال ينتقد توجهاتها، كما هو الحال مع الروايتين: (البحث عن إله مجهول) لجون شتاينبك، و(سد هارتا) لهيرمان هيسه، وسبب انتقاد د.عماد الدين خليل للروايتين كونهما ينطويان على رؤية ترجع الإنسان باتجاه الوثنية بعد أن حرره الإسلام ورفعه إلى أفق التوحيد، كما أنّهما فاءتا إلى العلمانية والإلحاد[١٨]. إذن ما الذي دفع الدكتور عماداً لدراستهما؟ قد يكون الجواب لأنهما متقنات فنياً.

ويعد هذا تفعيلا للانفتاح الذي يتجاوز إهمال مساحات واسعة من الإبداع والعطاء النقدي، فبه يتم التفاعل والأخذ والعطاء، فالانفتاح على العالم واحتضان تجاربه العديدة، يعمق من المقاييس النقدية، ويكشف عن اعتبارات يمكن أن تسهم في بلورة العملية النقدية، بخلاف المقياس الفني الواحد الذي إن أنار الضوء على جانب بقيت جوانب أخرى معتمة تنتظر الكشف والتحليل.

فالاهتمام الأحادي يضعف من فاعلية النقد.

إن خاصية الانفتاح تشكل بكل ما تمتاز به من مواصفات رافدا يساعد الجمالية الفنية على التحقق. وقد تكون تجارب الأديب المسلم أغنى من تجارب الآخرين، وذلك بفضل رؤيته الكونية الواضحة، تلك الرؤية التي تدفع صاحبها إلى الانغماس في الحياة بكل أشكالها، ولكن ذلك لن يحقق وحده النتيجة المنشودة، بل لا بد من تحقيق المستوى الفني والجمالي، وإن الاتقان الذي يجعله الحديث واجبا ومسؤولية: ﴿إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه﴾[١٩]، و﴿إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾[٢٠]، يدعو الأديب الى إغناء تجربته الجمالية باعتبارها الشرط الأساسي ومصدر الكون في العالم الإبداعي، لنحقق قضيتين أساسيتين:

الأولى: إبداع الخطاب الجمالي في مستوياته العليا الأشد إقناعا وتأثيرا.

الثانية: التدليل على وجود أدب ونقد إسلامي[٢١].

وفي محاولة منهم للخروج من الضعف الفني عني النقاد الإسلاميون ببلورة مفهوم خاص للجمالية الإسلامية يضع في منظوره موازنة جادة بين مفاهيم علم الجمال من جهة والمفهوم الحضاري للإسلام في التعامل مع مناحي الحياة كافة... (فيعد) الجمال واحدا من أهم ملامح العمل الفني وهو يدخل في كينونة أي عمل أدبي، ولا

يمكن أن ينشأ أدب بدون ملامح جمالية.

إن الحديث عن الأدب الإسلامي المعاصر لا يمكن أن يكون متكاملا ملما بجوانبه جميعا ما لم يعالج مسألة الجمال ومفهومه..[٢٢]. والمطالع لنداء القرآن المتكررة لأعمال الحواس في صفحات الكون الجميل لزيادة غنى الإنسان وعلى كل المستويات الايمانية والجمالية..[٢٣]، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨)﴾ (ق: ٦-٨).

ولا يتحقق ذلك أيضاً إلا بالانفتاح على الآخر، لأنّ «كل حركة نقدية تطلع في الغرب تمثل ولا ريب كشفا ذا قيمة وإضاءة جديدة تستخدم الأنشطة النقدية من أجل التحقق بإيغال أعمق وأكثر انضباطا..»[٢٤]. وقد آن الأوان لظهور أدباء إسلاميين يتحدثون للعالم عن حياة إسلامية، ويقصون أنباءه وملامحه للآخر، تلك التي لم يعرفها أو يمتلكها الآخر[٢٥].

وهنا يطرح ناقدنا مسألة هامة، وهو تحقيق الانفتاح المقابل بين ثنائية (الأنا/الآخر)، وذلك بتهيئة الآخر لقراءتنا، وإطلاع العالم على معطياتنا الأدبية والنقدية، فالعالم لا يقرأ التجارب والإبداع السطحي، وإنما يقرأ الآداب الغنية في تجاربها، ولا يتحقق ذلك إلا بالتحقق بأكبر قدر ممكن من

الجودة والإبداع في أدبنا ونقدنا، حتى يخرجا عن دائرة المحلية أو القطرية الضيقة، ويلتحقا في مصاف العالمية الواسعة. وبهذا نكون قد أنهينا حديثنا عن الانفتاح الفكري عند الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل وتابعنا طروحاته الأدبية والنقدية على حد سواء■

الهوامش:

(١) ينظر: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٨م: ٧٦-٧٧.

(٢) ينظر: م.ن: ٧٧-٧٨.

(٣) شيء عن ضوابط النقد الإسلامي، د.عماد الدين خليل، مجلة المشكاة، السنة٢، ع٥-٦، لسنة ١٩٨٦م: ١٥.

(٤) ينظر: المنهج الإسلامي في النقد الأدبي، دار الفكر/ دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت/ دمشق، ٢٠٠٢م: ١٣٩-١٥٧.

(٥) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر: وقفة لمراجعة الحساب، مجلة إسلامية المعرفة، السنة٣، ع١٢، لسنة ١٩٩٨م:١٣.

(٦) الرواية والتلقي البلاغي: تأصيل وتطبيق، د.محمد إقبال عروي، جامعة الحسن الثاني/ المحمدية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بن مسيك، الدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه، إشراف: د.سعيد الغزاوي، ١٩٩٩-٢٠٠٠م:٣٤٩.

(٧) سنن الترمذي، الإمام الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٥/٥١.

(٨) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي:٨٢.

(٩) ينظر: مدخل إلى الثقافة الإسلامية، دار ابن الأثير، الموصل، ٢٠٠٤م:١٠٦-١٠٧.

(١٠) مسند أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تح: حسين سليم، دار المأمون للتراث، ط١، دمشق، ١٩٨٤: ٧/٣٤٩.

(١١) نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، منشورات البراق الثقافية، ط٤، الموصل- العراق، ٢٠٠٧م: ١٨.

(١٢) شيء عن ضوابط النقد الإسلامي، مجلة المشكاة، السنة٢، ع٥-٦، لسنة ١٩٨٦م: ١٣-١٤.

(١٣) تأشيرات على البنيوية، مجلة المشكاة، ع١٥-١٦، لسنة١٩٩٢م: ١٢٧-١٢٨.

(١٤) الأدب الإسلامي المعاصر: المشكلات ووسائل الدعم، مجلة المشكاة، السنة١، ع٢، لسنة ١٩٨٣م: ٨.

(١٥) ملاحظات حول النوع الأدبي والمضمون والمذهب، مجلة المشكاة، السنة١، ع٤، لسنة ١٩٨٤م: ٤٠.

(١٦) ينظر: في النقد الإسلامي المعاصر، مؤسسة الرسالة، ط٤، بيروت، ١٩٨٧م: ٦٧-٩٩.

(١٧) ينظر: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي: ٢١٣-٢١٩.
ملاحظتان للناقد المسلم: بين الأديب وعمله، مجلة المشكاة، ع٣، لسنة ١٩٨٤م: ٧٠-٧٤.

(١٨) ينظر: في النقد التطبيقي، د.عماد الدين خليل، دار البشير، ط١، عمان، الأردن، ١٩٩٨م: ١١٩.

(١٩) مسند أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تح: حسين سليم، دار المأمون للتراث، ط١، دمشق، ١٩٨٤م: ٧/٣٤٩.

(٢٠) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل/ دار الآفاق الجديدة، بيروت: ٦/٧٢.

(٢١) ينظر: قيمة الأدب والفن، د.عماد الدين خليل، مكتبة الرشد، بغداد، ١٩٩٥م: ١٢.

(٢٢) ينظر: الجمال في الأدب الإسلامي: تباين المفاهيم وتعدد الرؤى النظرية، أ.م.د.محمد جواد البدراني وإسماعيل إبراهيم المشهداني، مجلة إسلامية المعرفة، السنة ١٥، ع٥٨، لسنة ٢٠٠٩م: ١٢٥- ١٢٨.

(٢٣) حديث عن الجمال في الإسلام، د.عماد الدين خليل، مكتبة تموز، ط١، نينوى، العراق، ١٩٨٤م: ١٦.

(٢٤) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر: وقفة لمراجعة الحساب، مجلة إسلامية المعرفة، السنة ٣، ع١٢، لسنة ١٩٩٨م: ١٥.

(٢٥) قيمة الأدب والفن: ١٨.

مشاهد من يوم القيامة

د.عبد الرحمن العشماوي – السعودية

وقفتْ جميع مشاعري تتأملُ ... وفمي عن النُّطْقِ المبين معطَّلُ
ما كنت في حُلُم ولا في يقظة ... بل كنت بين يديهما أتململُ
أرنو إلى الأفق البعيد فما أرى ... إلا دخاناً تائهاً يتجوّلُ
وحشودَ أسئلةٍ تجرّ ذيولَها ... نحوي وبابُ الذهن عنها مُقفل
كانت يدُ الذكرى تُقلّبُ أحرفي ... وخيوطُ حزني في فؤادي تُغزَلُ
في حينها أدركتُ أن لحسرتي ... ناراً على أطراف قلبي تُشعَلُ
ورأيت خيطاً من دُخَانٍ لم يزلْ ... نحوي على جسرِ الأسى يتسلّلُ
أحسستُ أنّ إرادتي مسلوبة ... وشعرت أن مخاوفي تترهّلُ
وشعرت أني في القيامة واقف ... والناس في ساحاتها قد هرولوا
يسعون كالموج العنيف عيونُهم ... مشدوهةٌ وعقولهم لا تعقل
والكون من حولي ضجيجٌ مُرعب ... والأرض من حولي امتدادٌ مُذهل
قد أخرجتْ أثقالَها وتأهّبت ... للحشر وانكسر الرِّتاج المقفلُ
والناس أمثال الفراش تقاطروا ... من كل صوبٍ هاهنا وتكتّلوا
كل الجبال تحوّلتْ من حولهم ... عهناً وكلّ الشّامخات تُزلزَلُ
وجميع من حولي بما في نفسه ... لاهٍ فلا مُعطٍ ولا متفضّل
كل الخلائق في صعيدٍ واحد ... جُمعت فسبحان الذي لايَغفل
وأقيم ميزان العدالة بينهم ... هذا به يعلو وذلك ينزل
وتجمّعت كل البهائم بعضُها ... يقتصّ من بعضٍ وربّك أعدل
حتى إذا فرغ الحساب وأنصفتْ ... من بعضها نزل القضاء الأمثل
كوني تراباً يا بهائمُ.. عندها ... صاح الطغاة وبالأماني جلجلوا
يا ليتنا كنا تراباً مثلها ... يا ليتنا عن أصلنا نتحوّلُ
هيهات لا تجدي الندامة بعدما ... نُصب الصراطُ لكم وقام الفيصلُ

* * *

ومضيت أقرأ في الوجوه حكايةً ... إجمالُها عند الذكيّ مفصَّلُ
ورأيت مالا كنت أحلُم أن أرى ... حولي وقد كُشِفَ السّتار المُسدل
هذا هو النّمرود يندب حظَّه ... والدمعُ من هول المصيبة يهطلُ
وهناك فرعونُ المُؤلّه نفسَه ... يسعى بغير بصيرةٍ ويُولْولُ
وهناك كسرى تاه عن إيوانه ... مترنّحٌ في سيره مُتململُ
وهناك قيصرُ نفسُه مكسورة ... وبقلبه مما يعاني مِرْجَل
وهنا ابو جهل يراجع نفسه ... عيناه توحي أنه يتوسّل
يارب أرجِعْنا لنعملَ صالحا ... غير الذي كنا نقول ونعمل
هيهات قد طُوي الكتاب، ألم يكن ... فيكم نبيٌّ بالهداية مُرسلُ
سبحان ربك هؤلاء جميعهم ... كانت لهم دُوَلٌ هناك تُبَجَّل
لكنهم كفروا بمن أعطاهمُ ... ملكاً وعاثوا في البلاد وقتّلوا
ورمَوا بشرع الله خلف ظهورهم ... عزلوه عن حكم البلاد وعطّلوا
جُمع الطغاةُ هنا وقد هانوا ... على ربي وعزّ المؤمنُ المتبتّلُ
وقفوا وآلاف الضحايا حولهم ... فاليومَ يُنظَرُ في الأمور ويُفصَل
واليومَ يَسعد مؤمنٌ بيقينه ... واليوم يشقى الفاسق المتحلّلُ
واليوم يمتدُّ الصراط فمُسرعٌ ... نحو النعيم وزاحفٌ متمهّل
ومحمَّل بالذنب زلّتْ رجله ... فهوى ونارُ جهنّمٍ تَستقبلُ

* * *

وأَجَلْتُ طرفي ساعةً فرأيت من ... أمر القيامة مايَرُوع ويُذْهِلُ
هذا أبٌ يسعى إليه وحيدُه ... وبمقلتيه ترقُّبٌ وتوسّلُ
أبتاه أرهقني المسيرُ وحاجتي ... شيءٌ يسيرٌ لا يُمِضُّ ويُثْقِلُ
شيءٌ من الحسنات يُنقذني وقد ... خفّتْ مَوازيني وفيك أُؤَمِّل
أنت الذي عوّدتَني فيما مضى ... بَذْلاً ومثلُك في المصائب يَبذُل
وازورَّ وجهُ أبيه عنه مردّداً ... نفسي أحقُّ بما تقول وأَمْثَل
ومضى كسيفَ البال يسأل نفسَه ... ماذا جرى لأبي.. أهذا يُعْقَل؟
وبدت له بين الجموع حليلةٌ ... كانت تفضّلُه وكان يفضّل
وغدا يناديها رويدَكِ زوجتي ... فأنا الحبيب وليس مثلك يَجهل
ريحانتي أنسيتِ أيام الصّبا ... أيام كنا من هوانا ننهل؟
أنا من وهبتُكِ في فؤادي منزلاً ... ما كان فيه لغير حبّك مَنزلُ

شيءٌ من الحسنات يُنقذني وقد ... خفّت موازيني وفيك أُؤمّل
قالت له والهمُّ يُشعِل قلبَها ... لهباً وفي أحشائها يتغلغلُ
عذراً فأنتَ رفيق عمري إنما ... نفسي أحقّ بما تقول وأمثَل
ومضى كسيف البال حتى لاح في ... وسط الزحام خيالُ مَن لايبخل
أمّي الرَّؤوم، وراح يركض نحوها ... جَذِلاً وهل بعد الأمومة مَوئلُ؟
حمَلتْه في أحشائها وتحمّلت ... من أجل راحته الذي لايُحمَل
أمّاه ياأماه مُدّي لي يداً ... فلكَم بذلتِ إذا أتيتُكِ أسأل
شيءٌ من الحسنات يُنقذني وقد ... خفت موازيني وفيك أؤمّل
قالت له والدمعُ يَغلبُ صبرَها ... نفسي أحقّ بما تقول وأمثَل

* * *

ونقلتُ طرفي لحظةً فرأيت ما ... لا تستريح له النفوس وتَقبل
بشرٌ كأنهم الحواملُ قد مشوا ... مشيا ثقيلاً والمصيبة أثقَلُ
مَن هؤلاء؟ فقال من يدري بهم ... أهلُ الرِبا بئسَ المقام المُخجِلُ
أكلوا الرِبا جهراً ولم يتورّعوا ... عن أكْلِه ومشوا إليه وأرْمَلوا
ما صدّهم عن أكلِه بُطلانُه ... وكذاك باطلُ كلِّ قوم يبطُل
وأخذتُ ناحيةً أفكّر في الذي ... يجري وأُرسل ناظري وأنقّلُ
ماذا أرى، رجلٌ يُحيط برأسه ... طوقٌ وفي رجليه قيدٌ مُخجِلُ
من ذلك الرجلُ التعيس؟ فقال لي ... مَن عنده خبرٌ يقينٌ يُنقَلُ
هذا الذي خان العهود وعاش في ... دنياه يغتصب الحقوقَ ويأكُل
يسطوا على مال الضعيف وأرضه ... واليومَ يجني ماتراه ويَحمل
الشّبرْ في الدنيا يقابله هنا ... سبعٌ من الأرضين بئس المَحْمِلُ
ورأيت قوماً يُدعَسون كأنهم ... نملٌ وقد ذاقوا الهوانَ وجُلّلوا
مَن هؤلاء البائسون أراهمُ ... هانوا ومن كتب الكرامة أُغفِلوا
فأجابني: هم كلُّ مُختالٍ له ... فيما مضى كِبْرٌ عليه يعوّل
وذُهِلْتُ عنهم حين أبصَرَ ناظري ... رجلاً يُساق الى الجحيم ويُعتَل
ووراءه امرأةٌ يُحيط بجيدها ... حبلٌ يُلَفّ من الجحيم ويُفتَلُ
مَن ذلك الرجل الشقيُّ وهذه ... تجري على أعقابه وتُوَلْوِلُ
هذا أبو لهبٍ وزوجته التي ... كانت تجور على النبي وتجهل

* * *

وأخذتُ ناحيةً فلاح لناظري ... روضٌ وأزهارٌ ونورٌ مُقبل
غُرَفٌ بَطائنُها الحريرُ وتُرْبُها ... مِسْكٌ بماء المكرمات مُبلَّلُ
ونساؤها حُورٌ فوجهٌ مُشرقٌ ... كالشمس ساطعةً وطرفٌ أكحَلُ
أنهارها عسلٌ وخمرٌ لذّةٌ ... للشاربين وشربُها لا يُثْمِل
وبناؤها من فضةٍ، من فوقها ... ذهبٌ وعند الله ما هو أفضلُ
وأقلّ مَن فيها نصيباً حظُّه ... أضعافُ دنيانا وربك يُجزِلُ
ورأيت فيها الساكنين ربوعَها ... مستبشرينَ بما رأوه وحصّلوا
وعلى الأرائك يجلسون حديثُهم ... عَذْبٌ ولا همٌّ لديهم يُشغِلُ
يتذكرون حوادث الدنيا التي ... صمَدوا لها وعلى الإله توكّلوا
طوبى لكم هذي منازلكم فما ... خابت مساعي من يَجِدّ ويعمَل
وأَجَلْتُ طرفي في الوجوه فلاح لي ... وجهٌ بدا وكأنما هو مِشعلُ
وجهُ الرسولِ يُشِعُّ نوراً صادقاً ... قد جاء في حُلَل السعادة يَرفُلُ
ورأيت أصحابَ الرسول وقد مضوا ... نحو الجنان وفي المنازل أُنزلوا
ورأيت مؤمنَ آل فرعونَ الذي ... نبذوا، وصفحةُ وجهه تتهلَّلُ
والكوثرُ الرَّقْراقُ لاتسأل فما ... مثلي يُجيب وليس مثلي يُسألُ
نهرٌ كأن الدُّرَّ يجري بينه ... أو أنّه النورُ الذي يتسلسلُ
سبحان ربك هاهنا حصل الذي ... ما كان لولا فضل ربك يحصل
ورفعت طرفي لحظةً فرأيت مَن ... لا شيء يُشبهه وليس يُمثَّل
نورٌ تجلّى للخلائق كلّها ... فتواضعوا لجلاله وتذلّلوا
وقعوا سجوداً يلهجون بذكره ... والكونُ بالصمت المَهيب مكلَّل
سجدوا وأما المبطلون فحاولوا ... أنْ يسجدوا لكنهم لم يفعلوا

* * *

وصحوتُ من حلُمي ونفسي بالذي ... شاهدت مؤمنةٌ وعيني تَهمِل
وشعرتُ أن مظاهرَ الدنيا التي ... نهوى.. مظاهرُ نشوةٍ لا تكمُل
وعلمت أنّ الله يُمهِل عبدَه ... عطفاً عليه وأنه لا يُهمِل
وهنا وقفتُ وفي فؤادي دوحةٌ ... تحنو عليّ غصونُها وتُظلِّل
هي روضة الإيمان يجري نهرها ... عذباً ويشدوا في رباها البلبلُ
ياروضةَ الإيمانِ وجهُكِ بالندى ... والنور والأمَلِ المُغرِّدِ يُغسَلُ

* * *

الأدب الإسلامي والتحديات الفكرية المعاصرة

د.مصطفى عطية جمعة – مصر

تحدياتٌ كثيرة فُرِضَت على الأدباء حاملي الهوية الإسلامية فكرا وتوجها وإخلاصا في العصر الحديث. فمنذ نهاية القرن التاسع عشر وإلى يومنا؛ والهجمة التغريبية شديدة على الأمة المسلمة وعلى شعوبها ومثقفيها. وقد ترافقت الحملة مع الاحتلال الاستعماري في العالم الإسلامي. فالاستعمار الغربي هاجم بلدان العالم الإسلامي بعسكره وفكره وثقافته ومؤسساته، مما أدى إلى افتتان كثير من المثقفين والأدباء بالنموذج الغربي في التقدم والتنمية، وسقوطهم في إسار المركزية الفكرية الغربية، بنظرتها الاستعلائية إلى الأمم، وترويجهم للفكر الاستشراقي المتخم بميراث ضخم من العداء ضد العالم الإسلامي منذ القرون الوسطى.

وقد تكونت بالتالي أجيال متعددة من الأدباء المتبنين للطروحات الفكرية والفلسفية الغربية تجلّت في أعمالهم الإبداعية، حتى بات الأديب – الملتزم بالإسلام روحا وفكرا – غريبا في خضم رافعي الرايات الفكرية؛ والتي تدعو صراحة إلى تبني ثقافة الغرب المبنية على الثقافة اليونانية القديمة، بل ادّعى بعضُهم أننا أقرب لثقافة اليونان من الثقافة العربية الإسلامية، وأن الحضارة الهلينية تكونت على أرضنا (في مصر والشام)، فنحن أولى بها، وعلينا اللحاق بالأوروبيين، لنكون أندادا لها.

تناغم ذلك كله، مع اشتداد دعاوى الوطنية القطرية وقوميات العرق والجنس، وهي امتداد لنموذج

الدولة القومية / الوطنية في أوروبا، وتضاد لبّ فكر الرابطة الإسلامية الجامعة لشعوب المسلمين من منطلق عقدي ديني؛ المتجاوز الانتماء إلى روابط دنيوية (العرق، الأرض، الثقافات، اللغة). ونادت هذه الدعوات بأن يكون الأدب مرتبطا بهموم القطر لا الأمة، ليكون تابعاً لحضارات بائدة سابقة على الحضارة الإسلامية[١]. وكلها كانت نزعات تهدف إلى تفتيت الأمة، وتحوير انتمائها المتوارث إلى الإسلام عقيدة وسلوكا وثقافة وحضارة، وهو ما استشعره الشاعر الكبير محمد إقبال، فأنشد قائلا:

أضحى الإسلام لنا ديناً
وجميع الكون لنا وطنا
توحيد الله لنا نورٌ
أعددنا الروح له سكنا
الكون يزول ولا تُمحى
في الدهر صحائف سؤددنا

يتغنى إقبال هنا بالرؤية الإسلامية، بالرغم من دراسته لسنوات طويلة في بريطانيا وألمانيا، إلا أنه حمل الفكرة الإسلامية في أعماقه، وصاغ بها أشعاره، ولا عجب، فهو القائل: «لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهر لبّي، ويُعشي بصري، ذلك لأني اكتحلت بإثمد المدينة (المنورة)..، لقد مكثت في أتون التعليم الغربي، وخرجت كما خرج إبراهيم من نار النمرود»[٢]، وهذا نموذج دال على عدم الاستسلام النفسي للحضارة الغربية، ويأتي ردا على مدعي التغريب الذين سقطوا في لجج الفلسفات الغربية، وقرؤوا تاريخنا وثقافتنا في ضوئها، وباتوا – بدون أن يشعروا – أذرعا لثقافة المستعمر، وأصبح الإسلام في نظرهم –كهنوتا لا أكثر.

لقد نجح أدباء الأدب الإسلامي في تجاوز الأطر التقليدية للرؤية الإسلامية والتي تكاد تحصره في قضايا الدين والشريعة، إلى آفاق أرحب، تتبنى الإسلام بوصفه فكرا ومنظورا شاملا للحياة والناس والأمة والإنسانية، لتواجه الفلسفات الشمولية الغربية، التي قدّمت أطرا ومرجعيات للأدباء في العالم الإسلامي، جعلتهم يتبنون رؤاها. وهذا ما صاغه «محمد قطب» في كتابه «منهج الفن الإسلامي» موضحا أن الرؤية الإسلامية للفنون والآداب «ترسم الوجود من زاوية التصور الإسلامي للوجود، وهو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، وهو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق..، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود»[٣]. فالفن الإسلامي شامل لكل قيم الخير والحب والسلام والطمأنينة، ويرفض في ذلك – مثلا – الدعوات الشوفينية العنصرية القومية، التي راجت في أوروبا، فيما يسمى علو عقل الرجل الأبيض وثقافته.

فلا معنى لأن يتوحّد أديبٌ – أيا كان – خلف الدعوات الاستعمارية البغيضة، والمثال على ذلك الشاعر الإنجليزي «روديارد كبلنج»، الذي جعل الأدب في خدمة الاستعمار البريطاني، رافضًا قيام عصبة الأمم لحل منازعات الشعوب، داعيا لسيطرة الأقوى، متغنيا بحروب بلده المستعمر التي أفنت الملايين من الشعوب، وهو القائل: «الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقي الاثنان»، والشرق عنده ما هو إلا الأمم الرازحة تحت نير الاحتلال البريطاني[٤].

وهناك أدباء يساريون فرنسيون أيدوا مذابح فرنسا ضد الشعب الجزائري، رافضين التنازل عن الجزائر الفرنسية المتحضرة للشعب الجزائري (المتخلف) وأبرزهم: أمثال جان ريفيه، وجورج دوهمال، وجاك سوستيل، الذين نددوا بجبهة التحرير الجزائرية وقالوا عنها: إنها فاشية وعنصرية لأنها تناضل ضد محتل

قاتل، فضلا عن أدباء شيوعيين أيدوا القوانين الردعية الاستثنائية(٥).

وتكمن المفارقة هنا أنهم يساريون، صدعوا رؤوسنا بالحرية والمساواة والاشتراكية والعدالة، إلا أنهم مارسوا عنصريتهم الغربية على الشعب الجزائري المسلم. ويقاس على ذلك كل الأدباء الذين عادوا كل ما هو إنساني، وكانوا مخالب ثقافية في ترويج ثقافات استعلائية، تحتقر الأجناس والثقافات.

هذا، وقد كانت مشكلة بعض الأدباء العروبة التقليديين، أنهم اتخذوا موقفا سلبيا من أشكال

الأدب الوافدة من الغرب، دون التعاطي الإيجابي معها، على الرغم من انتشار هذه الأشكال في العالم العربي والإسلامي، ووجود قاعدة جماهيرية واسعة تتذوق هذه الآداب والفنون. فمثلا: هناك مَن ناصب شعر التفعيلة العداء، متمسكا بالشعر العمودي، في حين أن هناك إقبالاً كبيراً على هذا اللون الشعري، لاعتبارات ذائقية وبلاغية مستجدة. فلما صاغ أدباء الأدب الإسلامي أشعارهم، استطاعوا أن يكونوا أندادا لغيرهم.

ونفس الأمر يقال على المذاهب والمناهج الأدبية الوافدة من الثقافة الغربية، فشتان بين مفهوم الرفض المطلق، ومفهوم التعاطي الإيجابي، فالأول يعني: صم الأذن، وحجب العين عن التلقي الفاعل لما هو جديد، فهذا لن يمنع انتشاره، وإنما يمنعنا نحن من معرفة هذا الشكل، ودراسته، والوقوف على جمالياته.

أما المفهوم الثاني فيرى أهمية دراسة كل ما هو جديد، والنظر فيما يضيفه لنا، ومعرفة ما يدسه في ثنايا أسطره، وما يروّجه من أفكار وصَرْعات.

وبمعنى أوضح: إن الأشكال والمذاهب الأدبية متطورة متجددة، ولا بأس من التلاقح الإبداعي بين الثقافات، وإنما المشكلة في الهزيمة النفسية والاستلاب الحضاري والفكري الذي يسقط فيه البعض عندما يقف منبهرا أمام ثقافة الآخر، ومن ثم يقلّدها، ويساهم – دون أن يدري– في الترويج لها.

وهذا يفرض على الأديب الملتزم القراءة المتفاعلة لكل ما يُستجَدُّ على الساحة، ودراستها، والإفادة منها أو التحذير من خطرها، وما أكثر الأخطار الفكرية والنفسية الوافدة علينا كل يوم! فمن العبث تجاهلها، مثلما يكون من العبث الاستسلام لها■

الهوامش:

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٨م، ج٢، ص١٣٨– ١٥٣

(٢) روائع إقبال، أبو الحسن الندوي، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٠، ص٢٥.

(٣) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ص٦.

(٤) الأدب الإنجليزي الحديث، سلامة موسى، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، ٢٠١٥، ط٤، ص٤٧ – ٤٩

(٥) المثقفون وحرب الجزائر، بوعلام رمضاني، موقع http:// www.aljazeera.net/news/culture

بَرْمِجْ نَعْيَكَ..

د.أحمد بسام ساعي – إنكلترا

مع كل ولادة صوت.. تولد بذرة موت..

ويشب الإنسان.. ويشب بداخله الموت..

ينمو الإنسان.. ينمو الموت.

يذوي عود الإنسان ويغدو جافاً منحولاً أصفر..

وعود الموت بداخله أخضر أخضر...

بهذه الكلمات افتتحت مقطوعتي الشعرية في رثاء أبي قبل خمسة وثلاثين عاماً..

والبارحة، الأربعاء، نُعِي إلي أخي الأصغر نظام (أبو طارق) بعد مرض لم يمهله طويلاً..

ولم أجد ما يعزيني لألم الفراق؛ خيراً من العبارة التي يبدأ بها كتابنا وصلاتنا: "الحمد لله.."

إنها تمنحك:

١- الثقة بنفسك: فأنت راضٍ وآمنٌ ومطمئنٌّ، بل شاكر لله لما أصابك...

٢ – والثقة بربك: فأنت مسلم أمرك له، وواثق بعدله وكرمه ورحمته..

ولو خَيّرْتُ لأحللتُها محل (عظم الله أجرك) التي لم أجد لها، على جمالها، أثراً في السنة؟

كل منا يعي حقيقة أننا ولدنا للموت، وأن بذرة موتنا تولد معنا، وتنمو في داخلنا..

وتظل حية شابة خضراء؛ تستعد للانقضاض علينا حال تلقيها الأوامر...

ومع ذلك، فكم منا من يخطط لما بعد تلك اللحظة؟

أية سيرة ذاتية أتركها لتقرأ من بعدي؟ كيف يصنفونني على ألسنتهم وفي ضمائرهم؟

أنا لا أزعم أننا ملائكة، نحن بشر، لنا ضعفنا، ولكل منا أخطاؤه وخطاياه..

ولكن من المهم أن نضع هذا السؤال، وباستمرار، نصب أعيننا: ماذا سيقول عامة الناس بعدي: رحمه الله؟ أم الأخرى؟

هل أنا من أهل الجنة؟ أم من أهل النار؟

"من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض". (رواه مسلم)

خطط منذ الآن لتلك الشهادة: هل ستكون لك؟ أم هي عليك؟

لا يغرك منصب تتسنمه، أو مال تمتلكه، أو قوة تحميك، أو منافق يرائيك..

لا تغتر بصحائف النعي الصماء، فهي متشابهة في كلماتها، لا تفرق بين ميت وآخر..

ولكن مآلك، وشهادة الناس حولك، هي الحكم في النهاية: في الجنة؟ أم في النار؟

فاختر لنفسك ما تتركه بصماتك، وتسجله أعمالك على صفحات قلوبهم■

غَرْفَةٌ من بحر النبوة

إبراهيم يوسف منصور – سورية

أهاجكَ الشوق والتطريبُ والزجَل ... فأسرفتْ في توالي دمعِها المقل
أم فاتَكَ الركبُ إذ خفَّ الحُداة به ... فحالَ دون سُليمى السهلُ والجبل
فليس إلا طُلولٌ ضلَّ طالبُها ... يرتادُها بعد سلمى الذئبُ والوعِل
يلَذّ فيها بكائي الليلَ أسهره ... والبدرُ يشهدني، والدمعُ ينهمل
إذا خلوتُ إلى نفسي تهيَّمني ... ذِكرُ الأحبةِ، ما قالوا وما فعلوا
والقلبُ خفقة مشتاقٍ ألـمَّ به ... خَطْبُ النوى، فنَحيبُ القلب متصل
يا قلبُ فامسحْ جراحًا فيكَ مزمنةً ... واعلم بأن الأُلى تهواهم مُطُل
فما سُعادُ أبي سُلمى بمُنجزة ... وُعودَها الصبَّ وهو الوالهُ الغزِلُ
والعامرية ما أغنى الهيامُ بها ... قيسًا، وأجفانُه بالسُّهد تكتحل
واعشق أيا قلبُ مَن دانَ الجمالُ له ... وذِكرُه ملءُ أسماع العلى رَتِل

* * *

يا مَن له المجد أعيا من يُطاوله ... سليلُ بيتِ العُلى، فالفضل مكتملُ
راياتك البيضُ في الأنحاء خافقة ... وشرْعكَ السمحُ لا يرقى له الجدل
وأسدُك الصحبُ جابوا الأرضَ واسعة ... رحابُها، في سبيل الله قد رَحلوا
فللميادين مِن تَصوالهم ذِكَرٌ ... وللمنابر من تذكيرهم وجَلُ
سل العراق وأطراف الجزيرة كم ... جادتْ بها البيضُ! أوكم أمطر النَّبل!
وسل دمشق وسل مصراً وأندلسًا ... والقدسَ يفتحُها فاروقنا البطل
هذي منازل أجدادي وساحتهم ... فليخسأِ الكفرُ والإلحادُ والدجَلُ

* * *

يا أفضلَ الخلقِ من إنْسٍ ومِن ملَك ... وسيدَ الرسل، محفوفٌ بكَ الأمل
أتيتَ بدراً بقومٍ لا عتادَ لهم ... سوى بقيةِ أسياف بها كلل
لكنما مُلِئتْ تلكَ الصدورُ تقىً ... وأخلِصَ القولُ للديّان والعملُ

وخضتَها وقعةَ الفرقانِ، قد فرقتْ ... بين الهدى والعمى، قد نارتِ السُّبلُ
خلّفتَ فيها أبا جهل صريع ثرىً ... في عُصبة كفرتْ، فليُضرَبِ المَثلُ
وأنتَ في أُحُدٍ راسٍ كما أُحُدٌ ... إذ يحتمي بكَ شهمُ القومِ والبطلُ
والنصر مُلكُ إلهِ المُلك يَمنحه ... للمؤمنين، فلا خوفٌ ولا وجَلُ
ويومَ عسكرَ أحزابُ الضلال وقد ... كادوا الرسولَ، ألا تبًا لما فعلوا
جاءتهم الريحُ ما أبْقت لهم أثراً ... فأدبروا وجناحُ الليل منسدلُ
فلتهْنَ طيبةُ زال البأسُ واندحرتْ ... جحافلُ الكفر دون الساح وارتحلوا
نصرٌ مِن الله، والفتحُ القريب دنا ... ودون ذلك إرصادٌ ومُقتتلُ
فاصبرْ وصابرْ ورابطْ فالمنى ذُلُلٌ ... للصابرين، وما ماتوا وإن قُتِلوا

* * *

يا سيدي عاث في الأرجاء مُفسِدها ... وكُلنا بلذيذ العيش منشغل
أعلام لينينَ حمْرٌ في مرابعنا ... وقومُ صهيونَ في مسراكَ قد نزلوا
مَخالبُ الكفر في أجسادنا نَشِبتْ ... وللمَخالب كَلْمٌ ليس يَندمل
والقومُ إمّا ضعيف قَلَّ ناصرُه ... أو عابثٌ سادرٌ في غَيه ثَمِل
فأين فينا أبو بكرٍ، وسيرتُه ... نهجُ الرسول!؟ فنِعمَ النهجُ والسُّبُلُ
وأين فينا أبو حفص خليفتُه؟ ... الفاتحُ العادلُ العلامة الرجلُ
أم أين فينا صلاح الدين يجمعُنا ... وفي يديه كتابُ الله، والأسَل؟

* * *

يا إخوة الدّين هذا الصبح فانتبهوا ... أنتم هُدى الناس، أنتم للهدى رُسلُ
فاستكثِروا من خصال الخير وابتدِروا ... إنّ المُقلّينَ قد ضلوا وقد جَهلوا
يا ربِّ منك الهدى فاهدِ القلوب به ... وهبْ رشادًا فقد أودى بنا الزلَلُ
وصَلِّ ما شئتَ لا حصراً ولا عدداً ... على النبي ومن ضحَّوا ومن بَذلُوا

* * *

رؤية إسلامية لأدب الأطفال
في أشعار وقصص محمد الشرقاوي

د.صلاح عدس – مصر

محمد الشرقاوي.. أديب يكتب الشعر والقصة القصيرة للأطفال والكبار، وبداية نقول: إن الأدب يجب أن يكون له رسالة هادفة وليس مجرد متعة فنية زائفة، وهنا تظهر أهمية المضمون، أي رؤية الكاتب للإنسان والحياة والكون والمجتمع، وخاصة إذا كان العمل الأدبي موجهاً للناشئة، إذ يجب أن يؤثر في نفسية القارئ تأثيرا طيبا، ويسمو بوجدانه، ويوسع آفاقه العقلية والروحية، ويجعله إيجابيا منتميا، ولدينا في مصر كتاب عديدون أجادوا فنيا كتابة القصة للأطفال على رأسهم كامل كيلاني وأحمد نجيب والشاروني وعبد التواب يوسف وكاتبنا محمد الشرقاوي، وغيرهم.

ويتميز أسلوب محمد الشرقاوي بالعذوبة والجاذبية والتشويق في السرد، والبراعة في الحوار، وفي رسم الشخصيات التي يختارها بحيث تكون إيجابية مكافحة مدافعة عن القيم الإسلامية، وهي قيم إنسانية عامة مثل الحق والعدل والخير والجمال والسلام، ونجده حين يعرض شخصيات سلبية فإنه لا يتناولها بالتحبيذ والإعجاب، وإنما يتناولها بالنقد اللاذع كي لا ينبهر بها القارئ ولا يقلدها، وإنما يتجنبها بازدراء، وهذا هو جوهر الدعوة الأخلاقية الدينية، وذلك بعكس ما نجده في قصص الآخرين من إفساد لعقول الصغار بتزيين الشرور والمفاسد والقيم المغلوطة خاصة في أفلام

السينما ومسلسلات التليفزيون عن المخدرات والجنس والبلطجة.

وقصص الشرقاوي نجد أبطالها شخصيات من الصغار والناشئة، وذلك ليتحقق التقمص للأطفال والقراء عامة، والتقمص مرحلة نفسية أبعد من التعاطف وأعمق، لأن التعاطف هو شعور (مع)، أما التقمص فهو شعور (في)[١] والقصة القصيرة تصور حدثاً أو شخصية أو فكرة، وقد أجاد الشرقاوي في كل هذا.

فالحدث عند محمد الشرقاوي يتميز بالتكثيف والتركيز، ويصور موقفا أو لحظة نفسية، ويعمقها لأن القصة القصيرة ليست قصيرة لقلة عدد كلماتها، وإنما هي قصيرة لصغر الحدث الذي تصوره وقلته في الزمن، بينما الرواية تصور حدثاً طويلاً ممتداً في الزمن، وتشبه في ذلك النهر الممتد من المنبع إلى المجرى حتى المصب، أي أنها تمتد امتداداً أفقياً، بينما الحدث في القصة القصيرة يمتد رأسياً، أي يتعمق إلى أسفل فيما يشبه الدوامة[٢]، وهذا المفهوم الدرامي نجده يتحقق عند كاتبنا الذي يتميز الحدث في قصصه بالترابط الزمني والترابط المنطقي من البداية إلى الوسط حتى النهاية، وذلك كي يكون دخوله إلى عقلية الطفل، وعقلية الكبار دخولاً سلساً، وهو بعكس من يكتبون قصصاً فيها غموض وألغاز وتداخل في الأزمنة مما يسبب تفككاً منطقياً، وهذا ما لم يقع فيه كاتبنا محمد الشرقاوي الذي يتميز بالبساطة في أسلوبه اللغوي.

والقصة تتكون من حدث تقوم به شخصيات من خلال نسيج فني هو السرد والوصف والحوار، بينما النسيج الفني في المسرحية يعتمد على الحوار فقط. ويحمد لكاتبنا أنه احتفظ في النسيج الفني لقصصه باللغة الفصحى حتى في الحوار، ففي ذلك محافظة على لغة الأمة التي هدمها غيره من الكتاب الذين يروجون للحداثة والبنيوية وتقليد موضة الغرب، لكن كاتبنا لم يقع في هذه الهوة التي يقلدون فيها طريقة (تيار الوعي) عند جيمس جويس أو طريقة (اللارواية) عند آلان روب جرييه وناتالي ساروت[٣] وغير ذلك من التقاليع التي ترفضها طبيعة اللغة العربية وفلسفتها التي تتطلب في الكلام قدراً من المنطق، وقدراً من الوضوح خاصة إذا كان الكاتب صاحب رسالة ورؤية إسلامية هادفة للدعوة إلى القيم الأخلاقية الدينية، فمثلاً نجده يدافع عن قيمة الجمال في قصته (الأزهار الضاحكة)، إذ يصور لنا صبية يلعبون بالزهور يقطفونها ويرمونها على الأرض، فأحضر لهم بطل القصة كرة ليتلهوا باللعب

محمد الشرقاوي

بها، ثم نصحهم في رفق وأدب ولين كي لا يعبثوا بالزهور فاستجابوا له في حبور وسرور.

ونجده في قصة (خيال واسع) يصور لنا صبياً عبقرياً صاحب خيال علمي ويشجعه والده، ونجده في قصة (حراس الوطن) يصور لنا أمجاد حرب أكتوبر ليحقق الانتماء للوطن كقيمة، ونجده ينقد سلبيات المجتمع مثل نقده لسوء استخدام الكمبيوتر بحيث يشغل الفرد عن العمل وجدية الحياة.

ومن أمثلة ذلك أيضا قصته (هذا ملكي) حيث يصور الشغب والاستهتار الذي يقوم به بعض الصبية في القطار، إذ يتبادلون الكلمات الجارحة معتبرين ذلك نوعا من المزاح، ويرفعون أصواتهم في ضجيج مزعج، ويعطلون الأبواب عند فتحها وغلقها في المحطات، لكن البطل يوجههم لخطئهم محاولا تعويدهم على الانتماء لبلدهم بقولهم: (هذا ملكي) ليحافظوا على أي شيء يندفعون لتخريبه، فإن حب الوطن من الإيمان.

وهكذا نجد أن الرؤية الإسلامية موجودة في أعمال محمد الشرقاوي حتى في الموضوعات الاجتماعية المأخوذة من الواقع، وهنا تظهر أهمية قصصه وشعره، وأهمية دور الأديب في توجيه المجتمع والسمو بأبنائه روحياً وعقلياً خاصة إذا كانت أعماله يتلقاها الأطفال، فهنا تكون الرسالة الهادفة للأدب أكثر وجوباً، ونكون أكثر حاجة إليها لا سيما، وأننا نتعرض كبارا وصغارا لأفلام وتمثيليات هابطة أو مترجمة لا تتلاءم مع مجتمعاتنا، لأنها تعبر عن مجتمعات غربية مادية يسودها الجنس والعنف والانحلال الأخلاقي مما يفسد أخلاق الكبار والصغار ويلوث أرواحهم، ويقضي على الانتماء في داخلهم، ويهدم البراءة في نفوسهم.

وكثيرون ممن يكتبون للأطفال في بلادنا يسرقون أعمال الكاتب العالمي للأطفال (أندرسون) وغيره وهي أعمال متغربة بلا رسالة أو هدف يتناسب معنا.

لذلك ندعوهم إلى الكف عن هذا العبث، لأنه هدم لثقافة الأمة، وليتعلموا من كامل الكيلاني ومحمد الشرقاوي معنى الالتزام، ومعنى الرؤية الإسلامية، والمحافظة على الأمة بالمحافظة على اللغة العربية والقيم الدينية، خاصة فيما يقدم للطفل من شعر أو قصة حتى يتحقق له الانتماء، ويكون مواطناً صالحاً، وهذا ما نجح فيه كاتبنا سواء في مجموعته القصصية (خطوة لبكرة)، أو في دواوينه الشعرية مثل ديوان خيوط الشمس، وديوان حكايات المساء، وديوان زهور الأمل، ويطلق عليها شاعرنا اسم أناشيد للأجيال الصاعدة، لذلك نرجو من وزارة التربية والتعليم تدريس هذه الأشعار في المدارس،

ونرجو من التليفزيون تحويل قصصه إلى أعمال درامية للصغار والكبار، لأنها دعوة للقيم النبيلة بغير مواعظ مباشرة، أو تقريرية منفرة.

وإنما نجد في قصائده التعبير بالصورة، وهي جوهر الشعر، مثل قوله في قصيدة قال جدي (ديوان حكايات المساء):

قـــال جـــدي ذات يـــوم
خـذ سـلاح الـعـزم صاحب
واجـعـل الأحـــلام طـيـراً
طـائـراً فـوق الـكـواكـب

وقوله أيضا في ديوان (حكايات المساء) في قصيدة (سر النجاح):

مـن عـاش يـنـظـر لـلـعلا
لـم يـخـش مـن قـمـم الـجـبل

ونجد في ديوان (حكايات المساء) من حيث المضمون تجسيداً للرؤية الإسلامية في تمجيد شاعرنا للقيم الأخلاقية العالية، وذماً للأخلاق السيئة لا تزيينها مثلما في قوله في قصيدة (أبي في العيد):

ولـم أحـسـدْ ولـم أطـمـعْ
إذا مـا الـعـيـش أشـقـانـي

ونجد في قصيدته (رسالة في الهاتف المحمول) أنها تحمل رسالة إلى العالم هي دعوة للسلام العالمي كقيمة إسلامية ينشرها الإنسان في كل مكان.

ونجد في قصيدته (نصيحة أستاذتي) تمجيداً للتفوق العلمي كقيمة، كما نجد في الديوان تمجيداً لقيم العدل والحق والحرية والخير والمحبة والسلام، بل إن هذه القيم هي الدعوة العامة في كل أشعاره وقصصه.

مثلما نجد في ديوانه (حكايات المساء) في قصيدة (بلاد العدل) إذ يقول:

بـــلاد الـــعـــدل لا تـخـشـى
ســـوى رب هـــو الـــقـــادرْ
ففـيـهـا الـشـعـب ذو فكر
إلـــى قـصـد الـعـلا سـائـرْ
وفـيـهـا الأرض لا تـعطي
إلـــى لاه إلـــى جـــائـــرْ
بـــلاد الـــعـــدل أمـنـيـتـي
ولـــي حـلـم بـــدا عـابـرْ

ولذلك نجد شاعرنا يقدم لنا شخصيات إيجابية، ويشجعها ويمجدها تمجيداً للكفاح والصبر والعمل والصدق والأمانة والشرف والشهامة مثلما فعل في قصيدته (الطفل الأمين)، وفيها يستعمل وسائل درامية هي السرد القصصي والحوار، وتكرر ذلك في البناء الدرامي لكثير من قصائده، وفي هذه القصيدة يصور لنا صبياً رأى مالاً على الأرض،

فقام برده للمسؤول، فأعلن عنها حتى جاء أصحاب المال فاستردوه، وهو بذلك يجسد الرؤية الإسلامية في حكم الشرع في (اللُّقَطَة)، ونجده يدافع عن قيمة الحرية في قصيدته (عيون الخوف) إذ يقول:

عيون الخوف لا تبصرْ
سوى وهم بها يغدرْ
تعيش العمر في صمت
ولا تبدي ولا تجهرْ
عيون الخوف لا تعلو
ولا تبني لأمجادِ
ترى ضيقاً على أرض
وإن كانت هي الوادي

ونجده مثلما يدعو لصحة الأخلاق والدين يدعو في قصيدته (طبيب الحي) لصحة الأبدان (إن لبدنك عليك حقاً)، ويهتم شاعرنا بتصوير العواطف البناءة والمشاعر الإنسانية النبيلة الإيجابية مثل عاطفة

الأبوة الحانية في قصيدته (إلى ابني الصغير مؤمن).

ونجده يمجد قيمة العلم والمعرفة والثقافة تطبيقاً لدعوته سبحانه وتعالى في سورة (اقرأ) إذ يقول شاعرنا في قصيدته (كتابي):

يا كتابي يا كتابي
أنت لي خير الصحابِ
أنت زاد في حياتي
في ذهابي في إيابي
يا كتابي أنت شمس
أنت نحو المجد بابي
يا صديقي خذ طريقي
ناظراً نحو السحابِ

فهنا تعبير بالصورة، وإن كان شاعرنا يلجأ أيضاً للتعبير المباشر في بعض الأحيان إلا أن تبرير ذلك هو طبيعة تلك القصائد التي تميل إلى الكلاسيكية، والتي تتسم بالتعبير المباشر لتهز العقول، بينما الاتجاه الرومانسي يتسم بالتعبير بالصورة لتهز القلوب أكثر، لذلك نجدها لا تحدثنا إلا عن الحب والعواطف الذاتية بينما شعراء الكلاسيكية يحدثوننا عن الموضوعات العامة التي تهم وتشغل الوجدان الجماعي، لذلك يسمونها شعر المناسبات الاجتماعية والوطنية والقومية، وما أحوجنا إليها الآن! لتحريك الناس وتثويرهم ضد الهجمة الصهيونية الأمريكية وضد موجات التغريب والتخريب التي يقوم بها في الداخل دعاة العلمانية والماركسية لهدم الهوية، وقيم الأمة الأخلاقية والدينية. فما أحوجنا الآن لهذه الكلاسيكية! لا الرومانسية الحالمة المغيبة، فما أشبه حالنا الآن بفترة مطلع القرن العشرين! حيث كان الاحتلال البريطاني وحيث كان دعاة العلمانية والإلحاد الأوائل أمثال (شبلي شميل)، وإسماعيل أدهم في كتابه

(لماذا أنا ملحد!؟)، وسلامة موسى في كتابه (هؤلاء علموني)، وطه حسين في كتابه (عن الشعر الجاهلي).

أجل ما أحوجنا الآن إلى شعراء على طريقة شوقي وحافظ الكلاسيكية! التي كان الناس يرددون أشعارهم، بينما انفضوا الآن عن الشعر بفضل الشعارير كتبة ما يسمونه (قصيدة النثر)، والتي دقوا بها آخر مسمار في نعش الشعر العربي، حيث هدموه بهدم موسيقاه. وما أحوجنا الآن لإحياء الشعر في حركة إحيائية! أي كلاسيكية جديدة كالتي نجدها في شعر محمد الشرقاوي وزملائه من شعراء جامعة الأزهر، ورابطة الأدب الإسلامي المتمسكين بعمود الشعر العربي لإقامته وإقامة الأمة بإحياء قيمها، وبذلك يتكامل الشكل والمضمون مثلما نجد في كل أعمال شاعرنا.

ولنستمع إليه في قصيدته (الطفل المخترع) حيث يمجد العلم كقيمة، ويروج للعمل والعلم لا الترويج للهو والسلبية، وانتظار الذي لا يجيء[٤]، أو الترويج للفاحشة والانحلال، فيصور لنا شخصيات إيجابية، وهي هنا لتشجيع الطفل المصري على التفوق العلمي والاختراع والكشف والبحث والاطلاع، ويتكرر ذلك في كثير من قصائده مثل قصيدة (إن رأيت)، وهي أيضاً في ديوان (حكايات المساء):

إن رأيت الخير يحيا
بين أحضان المزارعْ
إن سمعت العزم يشدو
عند أنغام المصانعْ
قل بفخر مصر عادت
نورها للكون ساطعْ

ويتكرر في شعر محمد الشرقاوي التأكيد على القيم الإسلامية الاجتماعية مثل بر الوالدين (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) (سورة الأحقاف:١٥) إذ يقول في ديوانه (حكايات المساء) في قصيدة (طاعة الوالدين):

طاعة الآباء فرض
قاله الشرع الحكيمْ
من رعاها نال فضلا
عاش يكسوه النعيمْ
في رياض الأمن يحيا
ما له يوماً خصيمْ

وتتردد هذه النغمة أيضاً في ديوانه (زهور الأمل) إذ يقول في قصيدة (أبي وأمي):

أبي زاد من الأمن
وزاد الحب في أمِّي
هما كالنور في عيني
هما في القلب والدمِّ

وحين نتأمل قصائد هذا الديوان نجدها تعزف على لحن واحد هو قيم الإسلام، فنجده مثلا في قصيدته (حكاية قطة) يصور من خلال السرد القصصي العطف على الحيوان، والأحاديث في ذلك مشهورة،

منها الحديث الذي ورد في صحيح مسلم عن المرأة التي دخلت النار في قطة حبستها فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض[٥]، والحديث عن الرجل الذي غفر الله له وشكره حين سقى الكلب العطشان، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (في كل ذات كبد رطبة أجر)[٦].

ويتكرر في نفس الديوان تنويعات على اللحن الأساسي، إذ نجد شاعرنا يمجد العلم كقيمة في قصيدته

(العلم)، ونجده في قصيدته (اللغة العربية) يدعو إلى الانتماء لله، والدفاع عن الوطن، والاعتزاز بالقومية وباللغة العربية، وذلك لأنها لغة القرآن الكريم، والحاملة لدين الله، ولذلك يهدمها دعاة العامية عندما تكون لغة بديلة للفصحى من أمثال (لويس عوض)،

ونجد شاعرنا يمجد الحرية في قصيدة (بلاد الظلم) إذ يقول:

بـــلاد الـظـلـم لا تـحـيـا
وإن طـالـت مـبـانـيـهـا
فـأهـل الـظـلـم كـالـمـوتـى
وإن أحـيـوا نـواحـيـهـا

ونلمح الدعوة إلى الله في قصائد عديدة مثل قصيدة (الصلاة)، وقصيدة (الحج)، وقصيدة (الزكاة)، وقصيدة (شهر رمضان) إذ يقول:

ومـن صـلـى فـقـد أضـحـى
بـنـور الـوجـه كـالـبـدرِ
وعـــون الله لـم يـتـركْ
لـذي الإيـمـان مـن عسرِ

ويقول أيضاً:

رمـضـان يـا نـجـم الـشـهـورْ
يـا رحـمـة الـرب الـغـفـورْ

ونجده يكرر في ديوانه (زهور الأمل)، وفي كل دواوينه يمجد الباحث الصغير تمجيداً للعلم كقيمة، وقصيدته (زهور الأمل) تعطينا الأمل لأن على الشاعر أن يقدم لأمته الأمل حتى في أحلك الظروف التاريخية وأشدها سواداً، وليس ذلك بمثابة زغرودة في مأتم، وإنما هو بمثابة النبوءة الصادقة التي لم يكن يملكها سوى الأنبياء.

أما الآن فالشعراء الإسلاميون يحاولون تقديم هذه النبوءة لشحذ الهمم، وتحريك الشعوب الإسلامية من وهدتها وسباتها:

إنـمـا الأحـــلام سـعـي
طـائـر مـد الـجـنـاحْ
يـا زهـور الـعـمـر هيا
سـابـقـوا تـلـك الـريـاحْ

ونجد شاعرنا في قصيدته (الصديق) يمجد القيم الإنسانية كقيمة الصداقة باختيار صديق الخير لا صديق الشر، لأن المرء على دين خليله، ويدعونا إلى الانتماء لأمتنا العربية والإسلامية مثلما في قصيدته (فلسطين)، وقصيدته (وطني)، وقصيدته (ثورة ٢٥ يناير)، وكلها في ديوانه (زهور الأمل)، ويتكرر ذلك في كل إنتاجه الشعري الذي يشكل منظومة واحدة. فليس كل قصيدة في وادٍ بلا رابط، وإنما يجمعها وحدة هي وحدة الهدف والرؤية، ومن أمثلة ذلك في ديوانه (خيوط الشمس) قصيدة (مصر) التي يقول فيها:

مصر في عيني وقلبي
مصر حازت كل حبي
في سماء الكون شمس
نورها في كل درب

وكذلك قصائد: الأقصر، وشواطئ مصر، وقناة السويس، وسيناء، وذكرى نصر أكتوبر التي يقول فيها:

قف لمصر اليوم واشهدْ
فرحة في كل وادي
واسمع التاريخ يحكي
من أحاديث الجهادِ

وقصيدته عن عواصم العالم العربي، وقصيدته بغداد، وهنا أرضي، وحياة الريف، وغيرها الكثير مما يعكس حب شاعرنا لوطنه مصر وحبه لأمته العربية والإسلامية.

ويدعونا الشاعر محمد الشرقاوي إلى جمال الطبيعة والكون ليربط الطفل المصري والعربي بمنظومة الكون التي تعكس عظمة الله في خلقه مثلما في قصيدته (الزهرة الباكية) التي يدعونا فيها من خلال القصة والحوار كوسائل درامية إلى عدم قطف الزهور تمجيداً لقيمة (الجمال) الإنسانية الإسلامية، إذ يقول:

سرت بين الزهر يوماً
باشتياق وانبهارِ
إذ رأيت الدمع يكسو
زهرة خلف الجدارِ

قلت من أبكى صغيراً
في مساء أو نهارِ
قالت الأولاد قاموا
بعد لهو في حصاري
كنت فوق الغصن أحيا
مثل أسماك البحارِ

مـثـل أقـمـار الـلـيـالـي
مـثـل شـمـس فـي الـمـدارِ
زاد ذاك الـقـول حـزنـي
زاد عـزمـي واعـتـذاري
قـلـت لـلأصـحـاب هـيـا
نـرتـجـي حـسـن الـقـرارِ
كـي نـرى كـونـا جـمـيـلاً
كـي نـرى خـيـر الـثـمـارِ

وهنا شاعرنا لم يصرح مباشرة بعدم قطف الزهور، وإنما ترك هذا القرار الحسن للقارئ، وأوحى إليه به فقط من خلال هذه الصورة (كي نرى كوناً جميلا) والتي تدعو لتأمل جمال الكون والمحافظة عليه، لأنه يعكس الجمال الإلهي، ولذلك يتكرر في دواوين شاعرنا محمد الشرقاوي الدعوة إلى الله، وتمجيد دينه، وحب رسوله ﷺ وصحابته، مثلما في قصيدته (نحو ربي)، وقصيدته (رسول الله)، وقصائده: أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد، والأزهر، ودعاء، ونعيم الله، ونعم عظيمة؛ وكلها من ديوانه (خيوط الشمس)، ولنستمع إلى شاعرنا في مسك الختام من قصيدته (نعم عظيمة) إذ يقول:

الـنـور فـي قـرآنـنـا
عـون لـنـا فـي سـعـيـنـا
الـدم فـي شـريـانـنـا
يـجـري فـدا أوطـانـنـا

وهنا يجمع شاعرنا بين الدين والوطن في منظومة واحدة، وبأسلوب بسيط فما سر هذه البساطة في التعبير!؟ إنها البعد عن ثلاثة أشياء، أساسها البعد عن الغموض والتعقيد، وهي الصورة المعقدة كما في التشبيه التمثيلي المعروف في البلاغة العربية والمعروف في رمزية بودلير ومالارميه وفي تعقيدات (إليوت)[٧]، وفي تعقيدات اللفظ وصعوبته عند أبي تمام والمتنبي، وهو ما عاب به عليه القاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة)[٨] وكذلك الآمدي في كتابه (الموازنة)[٩]، ولكن الشاعر محمد الشرقاوي ابتعد عن كل هذا، واستعمل الألفاظ السهلة، والتشبيه البسيط لا الاستعارة المعقدة، وبذلك نجح في حل المعادلة الصعبة التي تقتضي في الشعر التعبير بالصورة من ناحية[١٠] كما تقتضي من ناحية أخرى الوضوح للرسالة والبساطة في التعبير لأن فلسفة البلاغة العربية لا تعرف الخيال المطلق، ولا الرمز المغلق، وإنما لابد في الكلام من قدر من الوضوح والمنطق، فالتشبيه لابد فيه من وجه الشبه، والاستعارة لابد فيها من جامع. وقد نجح الشرقاوي في كل هذا من ناحية الشكل، كما أنه من ناحية المضمون قدم لنا رؤية إسلامية لذلك نوجه رسالة لوزارة الثقافة لمنح محمد الشرقاوي جائزة الدولة في الأدب بوجه عام أو في أدب الأطفال بوجه خاص لأن محمد الشرقاوي كاتب قدير يستحق الدراسة والتقدير■

الهوامش:

(١) The Meaning of Art, by: Herbert Reed. P: ٢١.
(٢) القصة القصيرة – د: رشاد رشدي.
(٣) Modern Age, by: Boris Ford P: ٣٢.
(٤) في انتظار جودو – مسرحية صمويل بيكيت.
(٥) انظر صحيح مسلم – ٣٧ كتاب البر والصلة.
(٦) انظر كتاب زاد المعاد – ابن القيم الجوزية.
(7) The literature of United States. by: Morcus Conliffe, P: 12.
(٨) كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه – تأليف القاضي الجرجاني.
(٩) كتاب الموازنة بين الطائيين – تأليف:الآمدي.
(١٠) انظر كتاب المجمل في فلسفة الفن – بندتوكروتشه – ترجمة د.سامي الدروبي.

يا حادي الركب

د.رجاء عبيد - المغرب

يا حادي الركب.. ترنم وأتحف السائرين بصوت العزم ليجدوا في المسير، فالهمة جذوة ضئيلة تحت رماد النفس لن يلهب نيرانها إلا وقود كلمة تحيي، فلو علم الخلق سركن لأفرغوه في كينونة النفس ليكسوها العزم حلة قشيبة تتجدد نضارة ألوانها وبهجة منظرها بين الحين والحين.

ياحادي الركب.. أخبرنا عن جمال منازلنا التي نجد للوصول إليها، وأملنا بطيب المقام فيها، واجعل وصفك وصلا قبل الوصول، فالتعلق صدق، التعلق تحقق.

ياحادي الركب.. خذ بمجامع القلوب، وشق لنا طريقا في الأفق يوصلنا حيث السكون والأمان، ويعفينا ضجيج الحال وصخب الآن إلى راحة السلام بجوار السلام.أعلم السائرين أن الدنيا خلقت لنجوزها لا لنحوزها.

ياحادي الركب.. أنفاسنا تتوق لرذاذ الشوق ينعشها بحب النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، تتعطر بالصلاة عليه بالغدو والآصال، فيستحضر الفكر هيبة الاقتداء والتأسي، ويلزم الفعل الامتثال، فحدثنا عن سيرته وآنسنا بذكر خلقه العظيم.

ياحادي الركب.. أصخ السمع فالقلوب تضطرب بين أضلعها تنادي: يا رباه!.. فجد في توثيق الوصال، فالمحبة هبة، المحبة حياة، إذا رشح غيم الرحمة برذاذها سكنت الجوارح.

ياحادي الركب.. خبرنا بيقين العارفين عن القلب الذي عشي عن فيوض المنح، كيف ضربت دونه حجب والأستار، وعميت عنه البصائر والأسرار!؟ كيف أشرب ظلمة البعد والتنائي!؟ فهل بعد البعد بعد إياب!؟

ياحادي الركب.. قل لشارد الطبع في سفر الحياة: قد هلك التائهون في متاهاتها المتشعبة، فانتبه من رقدة اللهو، وقم وامح عن عينيك المنام.

وقل لمذنب بيننا على إصراره قد شاخ: لقد تعب من كتابة ذنوبك النساخ، فالنجاةَ النجاةَ.. فحتام ينجلي عن عقلك سكرك، ويتبدى لك خطر أمرك، بادر توالي أيام تفوت، وعد إلى العهد تغنم، فالهجر صعب شديد، وازرع في أرض عزمك فسيلة الأمل■

عرفته المنابرُ خطيباً مفوهاً، وعرفته المناصب سياسياً بارعاً، وخلف مكاتب السلطة إدارياً ناجحاً، وبين هذا وذاك أينع في رياض الأدب شاعراً وأديبا مستلهماً تراث الآباء، ومتسلحاً بعلوم اللغة ونبوغ الإبداع، تجلس إليه فلا تمل من حديثه، وملحه، وعلمه الغزير، يخالط الناس ببساطته وتواضعه فلا تكاد تميزه منهم لفرط تواضعه وانبساطه مع الجميع، حتى يُذكر اسمه أو يُعرَّف به فتقف مشدوهاً من عظيم تواضعه وبساطته، سبعون عاماً خاضها أديبنا في مضمار الحياة ومسالكها أينعت مدرسة وارفة الظلال في السياسة والتربية والأدب، مهما تحدثنا عنه فلن نفيه حقه، ولذلك ندعه يتحدث عن نفسه ومسيرته الأدبية في الصفحات التالية، أديبنا الذي يحل ضيفاً على صفحات مجلة "الأدب الإسلامي" هو الأديب والداعية والسياسي معالي الأستاذ حسن مقبول الأهدل، فإلى ضفاف هذه الروح المتألقة:

الأديب حسن مقبول الأهدل لمجلة (الأدب الإسلامي):

الأدب هذب شخصيتي، وجعلني مقبولاً عند السياسيين

حوار: **محمد أحمد فقيه – السعودية**

■■ هل لكم أن تعطونا لمحة عن حياتكم؟ وأهم العوامل التي أثرت في حياتكم الأدبية؟

■ أحمد الله تعالى وأثني عليه، وأصلي وأسلم وأبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وصحابته والتابعين، وبعد:

أهم العوامل في حياتي الأدبية بدأت وأنا في المدرسة الإبتدائية، إذ كانت المدرسة تقوم بالاحتفالات الوطنية والدينية في الأعياد والمناسبات، وكان سيدي وشيخي السيد يحيى الضرير مسؤولاً في المدرسة، فكان يعد الكلمات والقصائد الشعرية للمدرسة في المناسبات، وكانوا

يختاروني للكلمة الأولى وإذا ثَمَّ قصيدة فيسندون إلقاءها إلي، وكنت أتأثر بذلك.

كما كان يقام حفلٌ سنوي عامٌّ يشارك فيه الشعراء والأدباء في المدينة مثل الأستاذ هبة الله شريم، والأستاذ محمد يحيى عمر مقبول، والأستاذ عبدالله الضحوي، وأنا أشارك بأجمل قصيدة باسم المدرسة، فمشاركتي وحضوري قد أثرت في حياتي وجعلتني أشعر بأني (شُبَيِّل أدبي)، وذات مرة أعدَّت المدرسة مسرحية بعنوان: (قاتل الله الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله)، وأسندوا إليَّ دور أمير المؤمنين، فبقيت بعدها أتحرى النطقَ الفصيح.

كانت هذه أهم العوامل التي أثرت في بداياتي الأدبية والعلمية، وكلما تقدمت في العمر وتنقلت من منطقةٍ لأخرى، ومن وظيفة لأخرى؛ توسعت مداركي، وتأثرت بمن لازمتهم من علماء وأدباء وزملاء.

■■ هل هناك فواصل أو مراحل زمنية أو إبداعية يمكن تقسيم حياة الأديب حسن مقبول إليها؟

■ نعم يمكن أن تقسم حياتي إلى ثلاث مراحل زمنية:

المرحلة الأولى مرحلة التلقي والتأثر والحب، والمرحلة الثانية مرحلة التطلع والمحاولة، والمرحلة الثالثة مرحلة المحاكاة والظهور والمشاركة.

فالمرحلة الأولى كانت في الدريهمي، والثانية والثالثة كانتا في مدينة الحديدة.

■■ من هم الأدباء الذين تأثر بهم حسن مقبول الأهدل وكونوا مرجعية في حياته الأدبية؟

■ تأثرت بكثيرين أولهم الأستاذ الأديب عبدالرحمن عبدالله عاموه، وكان شاعراً فحلاً غير أنه لا يلقي قصائده، والأستاذ الأديب عبدالله الضحوي وملازمتي إياه، رحمهما الله، والأستاذ محمد بن علي عجلان والأستاذ سليمان بن محمد الأهدل -رحمه الله-، فهؤلاء تأثرت بهم وكونوا مرجعية في حياتي.

وكثيرون غيرهم تأثرت بهم أيضاً مثل الأستاذ الأديب العزي مصوعي، والأستاذ الأديب عبدالله محمد عطية، والأستاذ الأديب علي حمود عفيف، والأستاذ الأديب محمد فرج العديني، والأستاذ الأديب حمود بن محمد شرف الدين، والأستاذ الأديب عبدالرحمن بعكر، والأستاذ الأديب سليمان أبو بكر صائم الدهر، والأستاذ الأديب علي أحمد باكثير من خلال قراءتي له ملحمة عمر بن الخطاب، والأستاذ الأديب محمد محمود الزبيري، والأستاذ الأديب أحمد محمد الشامي من خلال قراءة كتابه رياح التغيير في اليمن، والحريري من خلال مقاماته، والأستاذ يوسف العظم وغيرهم كثير.

■■ في خضم الحياة التي خضتموها، ما الرؤى التي تبلورت في شاعرية الشاعر حسن مقبول الأهدل؟

■ كنت في بيئةٍ علميةٍ تعوَّد الناس أن يأتوا إليها ويستفيدوا منها في قضاء حاجاتهم مما شكل لدي الرؤى العلمية، فلما انتقلت للعمل التعليمي والتربوي تبلورت لديَّ الأمور التربوية، وأثرت في شاعريتي، فلما صرت محافظاً تبلورت لديَّ الأمور السياسية وأثرت في شاعريتي أيضاً، فلما كنت وكيلاً لوزارة الأوقاف شؤون الحج والعمرة تبلورت لديَّ الأمور السياسية والاجتماعية والدينية وأثرت في شاعريتي كذلك. وكلما دخلت في وظيفة كانت تتبلور لديَّ رؤىً من نوع المجال الذي دخلته، وهكذا تجمعت لدي بفضل الله مجموعة من الرؤى العلمية والتربوية والسياسية والاجتماعية والدينية، فكون مجموعها شخصيتي بهذا المزيج وظهرت في شعري في كل مرحلة.

■■ **كيف أثر الشعر والأدب في حياة السياسي حسن مقبول الأهدل؟**

■ الأدب: هو النَّفس والروح والأكسير الذي يحتاجه كل فن وكل تخصص وكل شخص، وإذا حُرمه صاحب فن أو تخصص أياً كان؛ يبقى فنه وتخصصه خشناً دون نعومة أو صقل أو جلاء.

فلأن الأدب يضفي المرونة والرونق والجمال على كل فن أو تخصص، لذا كان أثر الشعر جميلاً وعظيماً وإيجابياً في حياتي.

■■ **تنقلتم في عدة وظائف حكومية منها: محافظاً لمحافظة المهرة، ووكيلاً لوزارة الأوقاف والإرشاد لشؤون الحج والعمرة، ما الذي أضافته هذه الوظائف إلى الأديب حسن مقبول الأهدل، وهل السياسة أثرت في الأدب أو الأدب هذَّب السياسة؟**

■ تنقلتُ في وظائف سياسية عليا منها محافظاً بدرجة وزير لامست فيها هموم المواطنين وأعباء المحافظة، ثم وكيلاً لشؤون الحج والعمرة بوزارة

الأوقـاف والإرشـاد، وهـي وظيفة تتعلق بشعيرةٍ عظيمة من شعائر الإسـلام، بل ركن عظيم من أركانـه، التقينا في مواسمها بمجاميع من العلماء والوزراء والمسؤولين، وبهيئات الحج ومؤسساته في كثير من أقطار العالم الإسلامي.

ولاشك أن هذه الوظائف أضافت آفاقاً أوسع، ورؤى أكبر وأعظم في شعري وأدبي وشخصيتي بشكل عـام، فالذي عرفني محافظاً فقط عرفني بأني رجل سياسة فحسب، والذي عرفني تربوياً فقط حسبني تربوياً ومعلماً، والذي عرفني وكيلاً لشؤون الحج والعمرة حسبني عالماً إدارياً، والذي عرفني قبل ذلك طالب علم حسبني فقيهاً بمفهوم الفقه لدى العامة، والذي عرفني بهذا المزيج من ذلك كله فقد عرفني.

أمـا هل السياسـة أثـرت في الأدب أو الأدب هذَّب السياسة؟

فالحقيقة أنهما تعاضدا وتعاونا، فالسياسة أظهرتني في صف السياسيين ودمجتني معهم، والأدب هذَّب شخصيتي، وجعلني مقبولاً عند السياسيين، فالأدب إذن هذّب السياسة والسياسي معاً.

■■ المدائح النبوية نالت اهتماماً واسعاً من شريحة واسعة من الشعراء قديماً وحديثاً، ما مرد هذا الاهتمام؟

■ مرد هذا هو حب هذا النبي الكريم والرسول العظيم الذي بعثه الله لينقذ البشرية، ويخرجها من الظلمات إلى النور، ويوصل العباد إلى ربهم جل وعلا، ومن لم يؤمن به وبصدقه فليس بمؤمن، ألا يستحق هذا النبي العظيم من البشرية كلها المديح الصادق والترنم بسيرته وأخلاقه والحب الخالص له، والذب عن عرضه والدفاع عن سنته، والمودة لأله وأصحابه، بلى.

■■ الكثير تناول السيرة النبوية شعراً ونثراً، ولكم كتاب "القصائد الجلية في السيرة النبوية" هل هو مدائح نبوية أو سرد شعري للسيرة النبوية؟ وماذا أضفت فيه باعتقادك؟ أو ما الذي يميزه عن غيره من المنظومات النبوية؟

■ ليست القصائد الجليَّة مدائح نبوية فقط، ولا سرداً شعرياً للسيرة النبوية فحسب، بل هي مديح وسرد وعبرة وعظة وحكمة وبيان صيغت في قالب أدبي بديع في نظري. فهي تميزت –حسب تقديري– بشيء من سحر البيان، وحكمة الشعر، وإظهار بعض الغوامض التي يمر عليها الكثير بلا تأمل ولا إدراك، فهي جليّة.

■■ شعر المديح النبوي في اليمن قديماً وحديثاً، ما الذي يميزه من المديح النبوي بشكلٍ عام في المشرق أو المغرب العربي؟

■ نعم هناك ما يميزه عن المديح النبوي بشكل عام في غير اليمن، فبحسب ظني أن الذي يميزه من غيره ثلاثة أمور: صدق اللهجة، وعدم التكلف، وعدم الغلو.

■■ لكم ما يقارب خمسة دواوين شعرية فضلاً عن المؤلفات الأخرى، هل قال الشاعر حسن مقبول الأهدل كل ما يريد وما اختلج في

صدره في هذه الدواوين، أم ما زال هناك ما يختلج في الوجدان ولم يكتب على الورق بعد؟

■ لقد قلت فيها الكثير مما كان يختلج في الصدر أو يتنازعه الفكر، أو يخطر بالوجدان، وبقي الكثير أيضاً، فضلا عن مستجدات لم يتم التحدث عنها أصلاً، ولكن إذا كانت في العمر بقية وتيسرت كتابتها فستكتب على الورق.

■■ **لكم إسهامات في الشعر والنثر والعلم والمنظومات، في أيّ منها تجد نفسك؟**

■ الشاعر والأديب والكاتب يجد نفسه في كل ما كتب، وأنا كنت أجد نفسي كذلك، في كل نظمي وشعري ونثري، لكنني اليوم أجد نفسي في منظومتي "الدعاء المستجاب للواقف بالباب"، و"نيل المُنى وقطف الجنى من نفحات أسماء الله الحسنى".

■■ **لكم إسهامات في التاريخ من خلال مؤلفين تناولا تاريخ "محافظة المهرة"، ومسقط رأسكم "مدينة الدريهمي"؛ من أي منظور ينظر الشاعر إلى التاريخ؟**

■ ينظر الشاعرُ إلى التاريخ أنه علمٌ مهمٌ نافعٌ يعرف به الأحفاد عن الأجداد والفروع عن الأصول، وما تميزت به قبيلة عن قبيلة، وهو وسيلة عظيمة تفرعت عن مقصد عظيم من مقاصد الخلق والدين، وهو التعارف قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ

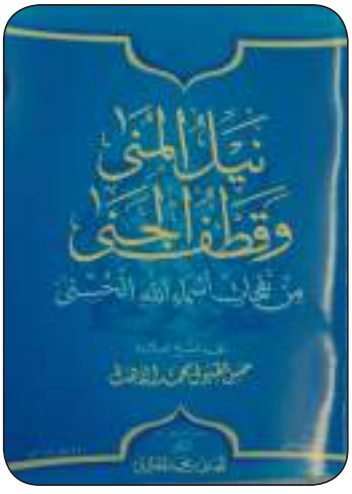

اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر)، "صحيح الترمذي، وصححه الألباني".

ورحم الله القائل:

من لم يع التاريخ في صدره
لم يدر حلو العيش من مره
ومن حوى أخبار من قد مضى
أضاف أعماراً إلى عمره

■■ **من التهم الموجهة إلى أدباء الأدب الإسلامي هو طغيان المعادل الفكري على المعادل الفني، أو طغيان الفكر على الشكل، كيف يمكن للأديب المسلم أن يوازن بين الفكر والفن؟ وهل وظف الأديب المسلم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحراً"؟**

■ هذه التهمة فيها تجنٍ على أدباء الأدب الإسلامي، لأنه لا تنافر بين المعادل الفكري والمعادل الفني، بل بينهما انسجام وتناغم وتعاون وتلازم، فالعامل الفني هو الوسيلة لإيصال الفكرة، فكيف يوصل الفكرة دون الوسيلة، والأديب المسلم هو أصلاً متوازن، وهو يعطي كل شيء حقه، فهو يعطي الوسيلة حقها، ويعطي الغاية حقها.

وكل أديب مسلم يستفيد ويهتدي بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحراً"، لكن الأدباء يختلفون قوةً وضعفاً، ولياناً وخشونةً، وطباعاً، وبهذا يحصل

التفاوت. والمتهمون لأدباء الأدب الإسلامي أيضاً يروجون لهذه التهمة وجعلوها كأنها حقيقة ثابتة لكل أدباء الأدب الإسلامي، وهم المتهمون بأنهم يريدون الأدب الإسلامي كله فناً، وكله شكلاً، ويحاربون الفكرة من أصلها، واستطاعوا أن ينفّروا كثيرين من الأدب الإسلامي، ويكادون يموتون شوقاً وحباً ووجداً في الأدب غير الإسلامي الذي لا توازن فيه أبداً، بل كله فن مطلق، وبلا حدود، وغايتهم طمس الأدب الإسلامي.

■■ ما هي الصفات الواجب توافرها في الأديب ليكون مبدعاً؟

■ يجب أن تتوفر في الأديب صفات كثيرة أهمها:

- أن يكون لديه الملكة، ووعي الاستعداد الذهني والوجداني لتناول هذا العمل بحذقٍ ومهارة.
- أن يكون لديه حظ وافر في علوم اللغة.
- كثرة الاطلاع على نتاجات الأدباء والشعراء.
- كثرة القراءة في كتب النقد وأعمال النقاد.
- أن يحرص كثيراً على الإبداع والابتكار في إنتاجه.
- أن يعرف مواطن الإبداع حتى لا يقع في الغرائب والشواذ.

■■ هل لكم كلمة أخيرة في نهاية هذا الحوار؟

■ نعم؛ أحب أن أختم هذا الحوار بهذه الكلمة التي أزجيها إلى السادة الأدباء والدعاة الذين يحملون هم الدعوة ألا يحملهم

هذا الهم على التشدد والاستعجال لإيصال الفكرة بقوة إلى الآخرين، لكي يؤدوا واجبهم، وعليهم أن يثبتوا ويتئدوا ويتذكروا قول الله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل:١٢٥)، وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (سورة البقرة:٨٣)، وقوله جل وعلا لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (سورة طه الآية ٤٤)،

وقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا) (متفق عليه)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه) (رواه مسلم).

وأن لا تخالفَ الأفعالُ الأقوالَ، قال الله تعالى على لسان نبيه شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ (سورة هود:٨٨).

وقال الشاعر الحكيم:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله
عارٌ عليكَ إذا فعلت عظيم

ولا يفوتني أن أقدم شكري ودعواتي لواحة الأدب الإسلامي الوارفة الظلال رابطة الأدب الإسلامي العالمية وروضتها الغناء مجلة الأدب الإسلامي وللقائمين عليها والمحبين لها، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين■

السيدة سِتُّون

د.عائض القرني - السعودية

قولوا: لـ(سِتُّون) مَنْ بالهجر أغراها ... ومَنْ بقتل صريع الحسن وصّاها
وما لها نسيت عهدي وقد حلفت ... عند المقام يميني فوق يمناها
يا مبسماً صاغ منه الفجر بهجته ... ففي محيّاه سحرٌ من محيّاها
والخال في خدّها من زهوة مَلِكٌ ... يكاد يأمرها تيهاً وينهاها
ومنطقٌ فاتنٌ كالشهد منسكباً ... يقبّل القلبُ من إعجابه فاها
في صرح لجّته تاهت بصائرنا ... ممردٌ من قواريرٍ لثمناها
في خدّهاَ ترقص الألغاز حائرة ... من ذا يجيب ومن يدري بمعناها
وفي العيون روايات مدبلجة ... أفلام عشق عن العذال أخفاها

* * *

(سِتُّون) ردي شبابي وارحمي دَنَفاً ... تجرّع الهجر من آهات ذكراها
هل تذكرين بوادي (ريشَ) جِلْستنا ... وقد كتبنا بوجه الرمل فحواها
والظبي يرقص بين الشيح منتشياً ... في روضة الحب مختالاً وتيّاها
قولوا: لـ(سِتُّون) أيام الصبا سُفِكت ... على مرابعها أو عرش مغناها
ما ذقت من بعدكم إلا الأسى غصصاً ... جمر الفراق بنار الصد أصلاها
حتى تمنيت لو طافت بطلعتها ... في النوم رؤيا فتلقاني وألقاها
أستغفر الله ياليت الصبا بقيت ... أيامه يحمل البشرى ويرعاها
في دفتر الحب يا (سِتُّون) ملحمةٌ ... من عالم العشق ما أعتى وأقواها
بالله يا بارقَ الوسمي بلّغَهَا ... مني السلامَ فلي روح بمثواها
يوم الصبا كقميص الخزِّ ألبسه ... والروض أخضر والنسرين قد باهى
والرمل لوحي وأقلامي غصون ندىً ... ودفتري صخرة ثارت حكاياها
قولوا: لـ(سِتُّون) لو فتّشتِ في خلدي ... وجدتِ فيه ندوباً سال أنداها
جرح من الحب يا (سِتُّون) ما اندملت ... أطرافه فهو في آلامه تاها
قد زرت بعدك يا (سِتُّون) كل حمى ... مشاهدٌ مذ عرفناها نسيناها
فما رضيت سواكم في الهوى بدلاً ... لأنني لم أجد للحُسن أشباها
آه على قهوة شقراء نشربها ... في غرفة من جميل الطين مبناها
سجادها بحصير النخل ننسجه ... وخِيط بالصوف والكتان مركاها
بعنا الهموم بدنيانا صيارفةً ... كالطير أي محل طاب ممساها
لم ندّخر قوتنا بخلاً ليوم غدٍ ... كالأسد ما قاتها لليوم أغناها
ونمطر الضيف ترحاباً يلذُّ له ... حتى عشيرته إن حل ينساها
أمام غرفتنا يجري الغدير على ... صوت الحمام فمن بالحب أشجاها

وفي العشيات أصوات الرعاة على ... معزوفة للسواني طاب مسراها
نمشي حفاة على الريحان في جذلٍ ... مثل الفراش غصون الزهر سكناها
أرواحنا كالعصافير انتشت طرباً ... لها أحاديث لا يُدرى بنجواها
قلوب أصحابنا طهر وسيرتهم ... كؤوس وصل على حبٍ رشفناها
نصاحب الكتب الصفراء نلثمها ... يُدار بالهمس شكوانا وشكواها
تضمنا من لهيب الهجر تمطرنا ... غيوث علم من الفصحى سُقيناها
ترشُّنا بزكي العطر روضتها ... قدسيّة الطهر يسبي القلب عطفاها
أنزّه الطرف في جنات أسطرها ... الله!.. كم من كنوز قد نثلناها
(سِتُّون) هاتي كتاباً ماتعاً وخذي ... كل اللذائذ أقصاها وأدناها
أبثه من دفين الحزن وافره ... وأقتضي من ثمين الدُّر أغلاها
وسجدةٍ في الدجى لله خاشعةٍ ... كأنما الروح حول العرش مجراها
رسائل الحب للرحمن أبعثها ... شفيعها من دموع العين أسخاها
طهَّرت روحي بماء العفو يمطرها ... غيث من الوحي من هود ومن طه
يا صاحبيَّ قليلاً من دموعكما ... فقد نزفت دموعي عند مغناها
وأقرضاني صبراً عن تذكُّرها ... جزاكم الله عن قلبي وجازاها
لعلها إن رأت دمعي تحن إلى ... عهدي فألطف ذكرى القلب أقساها
(سِتُّون) قولي: (لأمي) لن أوفيَّها ... حقاً ولو كان جفني نعل ممشاها
رسالتي دمع عين جاد وابله ... غسلاً لأقدامها من حر رمضاها
ودعوةٍ في سجودٍ كم صدحت بها ... يا رب فاجعل جنان الخلد مأواها
فداك روحي يا أماه إن بقيت ... أماتها حبك الأسمى وأحياها
ديوان حبك يا أماه في خلدي ... وفي ضلوعي نقوش قد كتبناها
(سِتُّون) قولي لأصحابي أما ذكروا ... أيام صفوٍ رعتنا في حناياها
إن شطَّ عنهم مزار أو نأى بلدٌ ... فدعوةٌ سحراً بالشوق صغناها
أو ندَّ ذنب فثوب الصفح يشملنا ... وبردةٌ من وفاء ما خلعناها
ردّي شبابي يا (سِتُّون) واعتذري ... من الليالي التي للشيب بعناها
ما في الخيام أخو وَجْدٍ نطارحه ... أخبار نجد من الماضي حفظناها
سبحانه وحده أدرى بمطلبنا ... في ذاته كل مُرٍّ صار أحلاها
رضاه تاج على رأسي يشرفني ... من جوده يمنح التوفيق والجاها
له الثناء الذي لا شيء يحصره ... محامدٌ بجليل المدح يرضاها
يا ذا الجلال وذا الإكرام خالقَنا ... لك القداسة أسماها وأوفاها
والكون تسبيحة ذابت على شفة ... من ذا يناجي؟ يناجي: اللهَ.. اللهَ

اسمه الحقيقي ديامندي وهو اسم يوناني معناه «ألماس»، ولد في مدينة طلس التابعة لولاية قيصرية الواقعة في وسط تركيا عام ١٨٨٧م، كان أبوه تاجرًا يعمل في تجارة الحرير، هاجر بعد أن رزقه الله بهذا المولود إلى ولاية قسطمونو، وسجل ابنه هناك في مدرسة للروم الأرثوذكس.

ومع انتقال ديامندي إلى المدرسة الإعدادية بعد إنهاء تعليمه الأولي في مدرسة الروم الأرثوذكس، بدأ بحضور دروس التربية الإسلامية رغم أنه لم يكن مجبرًا على دخولها، وعن ذلك يقول:

الشاعر التركي يامان داده

حياته ومقتطفات من شعره

«لم يكن الطلاب من غير المسلمين يبقون في الصف في الساعات الخاصة بدروس الدين، كنت أبقى وأنصت بشغف، كنت أتعلم ما يتم شرحه، لم يشجعني أحد على حضورها، أنا أيضا لم أكن أعلم لماذا أحضرها، لا أعلم لكن في الحقيقة كنت أحس بانجذاب إليها. كانت الآيات الكريمة التي ترد في الدرس ترسخ في ذاكرتي، وتنفذ إلى أعماق قلبي، إن الآيات الكريمة التي كانت تذكر كأمثلة في دروس اللغة العربية، أو ترد في بعض أبيات الشعر كانت تزين قلبي وعقلي وتنورهما».

د. عبد الستار الحاج حامد - تركيا

في المدرسة كان زملاؤه يطلقون عليه لقب «يماندي مولى» أي: الشيخ يماندي، رغم أنه كان مسيحيًا، لما لمسوا منه من تعلق بدروس اللغة العربية والتربية الإسلامية. لقد كان يولي اهتمامًا كبيرًا باللغتين العربية والفارسية، ويحرص على حضور دروس التربية الإسلامية.

في المدرسة الإعدادية تأثر كثيرًا بالأبيات الأولى من مثنوي جلال الدين الرومي التي شرحها مدرس اللغة الفارسية وأولها:

استمع إلى الناي يأخذ في الشكاية
ومن الفراق يبدأ في الحكاية

ومن ذلك الوقت بدأ الإسلام يدخل قلبه، وأظهر تمكنه من اللغة العربية في امتحانها الذي استمر لأكثر من ساعة ونصف، حاول خلالها ممتحنوه أن يخطئوه، لكنه نجح في الإجابة بشكل صحيح عن جميع الأسئلة، الأمر الذي أثار إعجابهم، فسمحوا له بالالتحاق بمدرسة إسلامية ليتعلم فيها العربية والفارسية بشكل أفضل، بعد انتهائه من المرحلة الثانوية حائزا المرتبة الأولى في المدرسة، انتقل إلى إسطنبول لدراسة الحقوق في دار الفنون (جامعة إسطنبول حاليا)، وبعد تخرجه عام (١٩١٣م) عمل محاميًا في إحدى المحاكم في المدينة مدة من الزمن، ثم استقال من الوظيفة، وبدأ يمارس مهنة المحاماة في مكتب خاص، في تلك الفترة كان يَدرس العربية، ويطالع كتب الفقه الإسلامي، فأعجب بمفهوم العدالة في الإسلام، كما كان يتردد على مولوية غلاطة لدراسة مثنوي جلال الدين الرومي فيها، وهكذا أصبح معظم أصدقائه من المتدينين المسلمين والشيوخ، ولقب بيامان داده.

في عام (١٩٣١م) ترك مهنة المحاماة، وانتقل إلى مهنة التدريس، بدأ يدرس اللغة التركية والأدب في عدد من مدارس الأقليات المسيحية في إسطنبول. ومن ناحية أخرى انتسب إلى المحفل الماسوني في إسطنبول؛ بيد أنه فصل منه بعد أن ظهر لهم ميله إلى الإسلام. إلى جانب ذلك كان يدير شعبة جمعية مسيحية للأعمال الخيرية في إسطنبول فترة من الزمن.

في عام (١٩٣٩م) استضيف في إذاعة أنقرة للحديث عن شاعر متصوف عاش في القرن الثامن عشر، ومنذ ذلك الحين لمع نجمه باحثاً في الأدب التركي القديم، وبدأ يلقي المحاضرات عن الشعر الصوفي والأدب القديم في مختلف الأماكن في تركيا.

في عام (١٩٤٢م) أعلن إسلامه بشكل رسمي، وغير اسمه ودينه في السجلات المدنية، حيث أصبح اسمه محمد عبد القادر، لكن هذا الأمر لم يكن سهلا بالنسبة له، لقد منعته الكنيسة من البقاء مع زوجته وابنته المسيحيتين في البيت نفسه. وتم تخييره بين العودة إلى المسيحية أو ترك زوجته، فضل يامان داده ترك بيته بما فيه لابنته وزوجته، وبدأ العيش في مكتبه وحيدًا فترة من الزمن قبل أن يتزوج مرة ثانية من معلمة متقاعدة. إن انفصاله عن عائلته أثر فيه كثيرًا، وانعكس ذلك في الرسائل التي كان يرسلها لابنته.

كان يامان داده طيب القلب، وكان يؤخر إعلان إسلامه لأسباب عائلية، لم يكن يريد أن يضع عائلته في وضع صعب، ولم يرد لأسرته أن تتفكك، لذلك كان لسنوات طويلة في الفترة التي سبقت إسلامه يصوم سراً أحياناً دون سحور، وأحيانا دون فطور، وكان يصلي سراً في البيت أو في المساجد الصغيرة في الأحياء البعيدة. لكنه لم يعد يتحمل أكثر من ذلك، وخاصة أنه لم ينجح في إقناع زوجته وابنته في اعتناق الإسلام، وفقد أمله منهما، لأن زوجته كانت تنتمي لعائلة شديدة التدين. فعندما لمست عائلته منه في فترة شبابه الميل إلى الإسلام قرروا تزويجه من ابنة عائلة مسيحية شديدة التدين كيلا يغير دينه.

بعد إعلان إسلامه بدأ تدريس اللغة العربية والفارسية والتركية والأدب في بعض المدارس الأجنبية ومدارس الأئمة والخطباء، إلى جانب التدريس في معهد إسطنبول الإسلامي العالي (كلية الشريعة في جامعة مرمرة حاليا)، وكان متعلقًا بعمله تعلقًا شديدًا، فعلى الرغم من مرضه الشديد في أواخر

أيام حياته كان يصر على الذهاب إلى الجامعة، وإلقاء الدروس، حتى أغمي عليه في أحد الدروس ونقله طلابه إلى بيته، ولم يلبث إلا أياماً فاضت روحه بعدها، وكان ذلك سنة (١٩٦٢م).

كان بكّاءً، سريع الدمعة، يجهش بالبكاء عند ذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وعن البكاء يقول: «إن أزهار السعادة الأبدية إذا ما سقيت بالدموع تكبر».

كان للأدب والشعر مكانة مهمة في حياته، فقد بدأ بكتابة الشعر في المرحلة الإعدادية، ولقي تشجيع معلمه، استمر بكتابة الشعر على الطريقة التقليدية وفقا لأوزان بحور الشعر التركي، ولاقت أشعاره استحسان العديد من الشعراء المعاصرين له من مثل الشاعر يحيى كمال، وابن الأمين محمود كمال وغيرهم. ويقول يامان داده واصفاً شعره: «أشعاري هي دموعي التي تحولت إلى كلمات». ويظهر في أشعاره تأثره بمثنوي جلال الدين الرومي الذي كان يحبه كثيرًا، أما موضوعاته الشعرية فيأتي على رأسها المديح النبوي، وكمثال على ذلك نورد مطلع قصيدته المسماة: «يا رسول الله»:

«أدمي قلبي من الشوق، واصطبغت بدمه يا رسول الله

لا أعرف كيف صبرت على هذه النيران يا رسول الله

أنا أنين لا يستكين في أحاديث السحر الأزلي يا رسول الله

أسعدني بجمالك لأني احترقت يا رسول الله».

يتجلى في هذه الأبيات الحب العظيم الذي يحمله في قلبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ونذكر أيضاً من أشعاره هذه الأبيات من قصيدته «لا تجعلني أبكي» التي يبتهل فيها إلى الله ليذيقه حلاوة العشق الإلهي:

«أحرق صدري بنار العشق ولا تلتفت إلى عويلي

لا تلتفت إلى النيران المشتعلة في روحي

ولا تلتفت إلى حبي وإيماني الذي لن ينطفئ أبدا

لا تجعلني أبكي بل أحرق، ولا تلتفت إلى حالتي البائسة».

إن رقة قلبه وعمق إيمانه انعكسا في أشعاره وفي أقواله أيضا، فمن أقواله التي تدل على رسوخ إيمانه: «أيعقل أن نحزن إذا ما عرفنا أن كل شيء من الله؟».

«لو درس المسيحيون واليهود دينهم جيدًا، لا شك أنهم سيصلون إلى العشق المحمدي»■

الهوامش:

- Haşim Şahin, Yaman Dede, DIA, C, 43, S, 311-312, 2013 (https://islamansiklopedisi.org.tr/yaman-dede)
- Mustafa Özdamar, Yaman Dede: Belgesel. İstanbul, Marifet Yayınları, 1994.
- Peygamber Âşığı Yaman Dede Mehmed Abdulkadir Keçeoğlu (1887-1962), Osman Oral, International Journal Of Russian Studies = Uluslararası Rusya Araştırmaları Dergisi, 2015, C, VIII, Sayı: 1, S. 10-22

انتظار..

عبده حقي - المغرب

بدا له لحظتها أن كل الأشياء من حوله تنتظر شيئا ما.. أشجار الصفصاف.. ربوة المقبرة المكسوة بالأزهار وأعشاب البقوليات.. أعمدة الهاتف الخشبية المنتصبة في أمرها العسكري.. أسراب العصافير الغافية على أسلاك الكهرباء.. الكلب الأسود القابع على عتبة الطاحونة.. قطيع الخرفان التي تتلهى طول النهار بالنظر في الفراغ على حاشية الطريق.. الدلو المترهل المنسي في حافة البئر.. إلخ؛ كل شيء يبدو كأنه ينتظر شيئا ما..

أما هو فقد كان ينتظر من يقله إلى وجهته المألوفة كل يوم.. لقد ألف هذا الانتظار الممل عند الغروب.. رحلته المكوكية صيفا وشتاء.. تمر السيارات والشاحنات القليلة بطيئة تنوء بأثقالها وتجهد محركاتها لتتغلب على هذه العقبة الكأداء مما لا يجعل أحدا من السائقين يعبأ بوقوفه أو يهتم بإبهام (الأوتوستوب) التي يرفعها من حين لآخر..

ها هي ذي سيارة بيضاء تلوح في المنحدر.. شرع يلوح لها من بعيد.. ليس يدري إن كان هو من لوح لها بإبهام (الأوتوستوب) أم يده التي دأبت على ذلك لسنوات عديدة من عمره ولوحت من تلقاء نفسها لذات الأمر..

طفقت السيارة تتباطأ في تؤدة وكان هو مع تباطئها وتقدمها نحوه يشعر بانفراج وغبطة طفيفة.. نفس الإحساس الذي كان ينتابه كلما من عليه الوقت والحظ بسائق يحن لحال انتظاره الطويل والممل في ذلك الخلاء الموحش والغامض من الكون.

أخيرا جنحت السيارة إلى جانب الطريق وتوقفت عند قدميه.. كانت على شكل مقطورة طويلة بيضاء نقشت على جميع صفائحها عبارة "نقل الموتى"، وعلى الواقية الزجاجية الخلفية: "كل نفس ذائقة الموت"..

أنزل السائق العجوز النافذة الجانبية وقال له: مرحباً.. اطلع.

فتح الباب وجلس.. انطلقت السيارة.. ساد بينهما صمت قصير ملغز ممهور برائحة المآتم.. كان من المتوقع أن يحدثه العجوز عن أسطورة الموت وعن لائحة لا محدودة من الموتى الذين رافقوه في نعوشهم إلى مثواهم الأخير، وعن أسباب موتهم المختلفة.. كثير منهم قضوا لأسباب عبثية كحادثة سير طارئة أو لدغة عقرب أو نوبة قلبية... تنهد العجوز وضرب بكفه على المقود بحسرة ونفث زفرة حارة هامسا: ما أتفه الحياة! وما أسخفها!! أن يأتي الإنسان إلى هذا العالم.. يكبر فيه يوما بعد يوم.. يقضي عمره حالما.. ملاحقا مثل فراشة لا تلحق، وفي نهاية المشهد تنهي حلمه فجأة لدغة عقرب تافهة أو سيارة طائشة.. أليس كذلك يا ولدي!؟

في المساء شاع في القرية خبر انقلاب سيارة لنقل الموتى في أحد المنحدرات قضى بسببها سائقها العجوز فيما نقل راكب آخر إلى قسم الإنعاش!.■

العلاقة بين الرجل والمرأة

بين القرآن الكريم والشعر العربي

د.زينب بيره جكلي – سورية

تأذى الأدب العربي مما نشر فيه من فساد باسم دراسة موضوع أخذ منه مساحة كبرى ألا وهو الغزل، إذ كان هذا الموضوع عن قصد أو جهل وسيلة لنشر الفساد في المجتمع العربي، وقد نسي الدارسون أن الغاية من رواية الشعر الجاهلي وغيره بما فيه من مخالفات شرعية كانت لحفظ اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، وذلك لفهمه وفهم النصوص الفاضلة التي تعين الإنسان على الرقي لا الانحطاط، إذ ما الفائدة من الجهر بالسوء من القول!؟

ومن هنا فإني قد استعضت عن لفظ الغزل بموضوع هو أهم وأجدى، وهو العلاقة بين الرجل والمرأة، وطبقت هذا في كتابي الشعر العربي في عصر الدول المتتابعة، وبينت أن الحديث عن العلاقة بين الجنسين كانت داء الشعراء شيباً وشباناً، إذ كانوا يستهلُّون قصائدهم به، سواء أكانوا يعانون الوجد أم كانوا يقلدون، وقد شجعهم النقاد على هذا الاستهلال، لأن الحديث عن الحب برأيهم يساهم في انطلاقة الشاعر، ويفتّح القلوب إلى سماعه[1].

ولكن هذه العلاقة يجب أن ننظر إليها بمنظار الإسلام، وهو أكثر واقعية ووعياً، فليست المرأة موطن غزل دائماً، بل ربما كان جلّ الغزل برأيي تقليدياً ونابعاً من خيال الشاعر، ولاسيما الغزل المادي، ذلك لأن المجتمعات بعد العصر الجاهلي كانت إسلامية، ومعظمها يعاقب على اقتراف المنكرات، وقد تكون المرأة المتحدث عنها زوجة ودوداً دون أن يفصح عنها الشاعر غيرة منه، ولأن الفقهاء حرَّموا التغزل بامرأة معينة، وفي هذه الحال تكون العلاقة سامية نظيفة، وتنم عن الوفاء، وقد يكون الحديث رمزاً للحبيب المصطفىﷺ، كما في مستهل المدائح النبوية، أو رمزاً للملك الضائع[٢]، أو وسيلة تعبير عن العواطف الحميمة بين الأصدقاء والعلماء والمدرسين[٤].

وإذا نظرنا إلى حديث القرآن الكريم عن هذه العلاقة وعن موقفه من المرأة نرى أنها تمتاز بالعفة، وبالدعوة إلى الإيمان والتربية الفضلى، والإشادة بمواقفها الحسنى، والتنديد بالمواقف السلبية منها أو من الآخرين تجاهها، فهي والرجل سواء في الجزاء والعقاب، قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا(٣٥)﴾.

فمن الإشادة بالمرأة الصالحة في القرآن الكريم موقفه من مريم ابنة عمران وأمها، فقد كانتا صالحتين، وقد دعت الأم أن يرزقها الله ولداً يكون نذراً لله، وربى الله مريم على الصلاح والعفاف والتقى، قال تعالى يشيد بفضائلهما في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ(٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٧)﴾.

وقد أثنى المولى تعالى على السيدة مريم في قرآنه الكريم، وذكر أنها المرأة المصطفاة الطاهرة، قال في سورة آل عمران أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)﴾.

ومدحها وأثنى عليها وعلى زوجة فرعون التي صبرت وحافظت على إيمانها فقتلها الطاغية فرعون، قال تعالى في سورة التحريم: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ(١٢)﴾.

وكذلك أثنى على السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وزوجة الرسول الكريم ﷺ في قرآنه الذي يتلى صباح مساء، إذ بين أنها الطيبة الطاهرة، وزوجة أطيب المخلوقات كافة سيدنا محمد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ووعدها بالجنة والرزق الكريم فيها، قال تعالى في سورة النور بعد نقضه ما حكي في قصة الإفك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)

يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ(٢٦)﴾.

والله سبحانه يريد من المرأة المسلمة كالرجل أن يغضا من أبصارهما ليعيشا في نقاء من وسوسات الشياطين، قال تعالى في سورة النور: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾.

وقد جعل الله سبحانه حوريات الجنة قاصرات الطرف بعيدات عن الغيرة، فقال في سورة ص: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ(٥٣)﴾.

وهن مصونات كالبيض المكنون، لأن ذلك يمنع غيرة الرجل، قال تعالى عنهن في سورة الصافات: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩)﴾.

والمرأة المسلمة تحافظ على حجابها لتكون مصونة من الأعين، قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا(٥٩)﴾.

والمرأة الصالحة محافظة على سلوكياتها إن خرجت إلى العمل لضرورة، كمساعدة المعيل الذي لا يقدر على العمل، وهي تتحاشى الاختلاط، وإن اضطرت إليه حافظت على حيائها، قال تعالى في سورة القصص مثنياً على حياء ابنتي شعيب لحديثهما النقي مع موسى وأبيهما مما جعلهما أهلاً للزواج من الصالحين: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ(٢٧)﴾.

ولو قارنا بين نظرة القرآن الكريم إلى الاختلاط أو إلى العلاقة بين الجنسين، ونظرة الشعر العربي خيّره وشرّيره لرأينا أن الشعر الذي نهل من نبع الإيمان صدر عن رؤية القرآن الكريم، فالشاعر عمر بهاء الدين الأميري تأثر بالقرآن الكريم، وصدر عنه في سلوكياته وأقواله، فراح يسدد خطا المرأة، ويبين لها أن التحرر ليس أن تتفلت من عقالها لتكون كالطائر

يحوم في كل مكان، ويقع في كل مكان، كما يبين الشقاء الذي تعاني منه نساء الغرب، وكان قد رأى في مجونهن البؤس والشقاء والأذى الذي يفوح فيشقي الآخرين، وقد يعم فيفني البشرية كطوفان نوح، قال:

البائساتُ المائساتُ كآلة من غير روحْ
الناشراتُ شذًى وفي أعماقِهن أذًى يفوحْ
الضاحكاتُ وقد طَوَيْنَ قلوبهن على جروحْ
وسلوا الشقاء وإنه بئس المصيرُ فقد يبوحْ
والجاهلية هكذا تمضي وإن لبست مُسوحْ
يا ردَّة البشريةِ الرعناءِ عن هَدْيٍ سَبُوحْ
الآلـةُ الصماء والشهواتُ والطبعُ الجموحْ
يا نجدة الإنسان بالقرآن بالخير النَّفوحْ
إني لأخشى قبل مُنْبَلَجِ السَّنا طُوفانَ نوحْ[٤]

هذه نظرة الإسلام إلى الاختلاط والانسياق وراء الشهوات، وهي نظرة تنأى عن التطرف الإلحادي الذي بدا في غزل بعض الشعراء المعاصرين أمثال الرصافي في قوله:

إذا الوجهُ منكِ بدا للعيانْ
له سجدَ العشقُ يرجو الأمانْ
ويخجل من نوره النيِّرانْ
ويعنو له جبروت الزمانْ
ويخضعُ حتى القضا والقَدَرْ[٥]

ويرد الأميري على أمثال هذا الشاعر، وعلى أصحاب هذه الشهوات فيقول لواحدة:

إني لأفهم من لحاظِك في الحشا ما تكتُمينْ
أرنو إليك كما رنَوْتِ وأشتهي ما تشتهينْ
لكنني لا أستكينُ لنَزوتي لا أستكينْ
زجرُ النفوسِ عن التمادي في الهوى طبعٌ متينْ
لي في مَضاءِ العزمِ صبرٌ إنه كنزٌ ثمينْ
وإذا النفوس تهافتَتْ أَلْفَيْتَني في الثابتينْ[٦]

فهل يقبل مسلم غزل الرصافي وعلاقته؟ أو يكون في الثابتين غير المستكينين؟

والله سبحانه أمر الصالحين والصالحات بالزواج من أمثالهما لا من الكفرة، وبين الهدف من ذلك وهو النجاة في الآخرة، وهذه الغاية الدينية هي الأهم من وراء دعوة القرآن الكريم في جميع موضوعاته، قال تعالى في سورة البقرة مبينا أهمية هذا الأمر: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(٢٢١)﴾.

وكرر هذا المعنى في الزواج لأهميته فقال في سورة النور: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ

وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(٣٢)﴾.

والعلاقة الزوجية يجب أن تكون قائمة على المودة والرحمة التي جعلها الله بين الزوجين، قال تعالى في سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٢١)﴾.

وتقديم هدية المهر هو تعبير أولي عن الرغبة بالزواج من المرأة، وحسن الصحبة، قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا(٤)﴾.

والمرأة الصالحة تحافظ على أسرار الحياة الزوجية، وتدرك معنى قوامة الرجل على الأسرة، وفي حال الخلافات الزوجية يطالب المولى تعالى رأب الصدع بالوعظ، ثم بالهجران، ثم بالضرب غير المبرح، فإن لم تنجح هذه المحاولات فاللجوء إلى الأهل، فهم أعلم بالحياة الزوجية، قال تعالى في سورة النساء: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا(٣٥)﴾.

ثم يقول في السورة نفسها محافظا على حقوق المرأة في جميع الأحوال سواء أكانت يتيمة يرغب الزواج منها، أم كانت في خلاف مع زوجها، أم كانت مع امرأة أخرى في بيت الزوجية: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧) وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا(١٢٩) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا حَكِيمًا(١٣٠)﴾.

وللوالدين –ولاسيما الأم– لهما مكانتهما عند الله سبحانه، حتى إنه قرن عبادته بالإحسان إليهما،

وبين ما تعانيه الأم في حملها، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا(٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا(٢٤)﴾.

وقال في سورة لقمان موصياً بالأم خاصة: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١٥)﴾.

ودعا المرأة إلى الدعوة إلى الله سبحانه الذي علمهن من آياته، قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)﴾.

وقد ندد القرآن الكريم بكراهية الجاهليين للأنثى لأنها لا تقدر على الحرب، لأنها كالرجل مخلوقة بأمر الله، ولكل رسالة في الحياة يؤديها كما أمر الله، قال تعالى في سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٩٧)﴾.

وقال في التنديد بكراهية الأنثى أيضاً في سورة الزخرف: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ(١٨)﴾.

ولم يمنع الإسلام المرأة من المشاركة في قضايا الأمة، فهي تبايع الله ورسوله كما يبايع الرجل علامة على ارتضائها شرع الله سبحانه، قال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(١٢)﴾.

والإسلام يذم المرأة التي تنأى عن دين الله سبحانه وسلوكياته وتخون زوجها كامرأة العزيز، وامرأتي نوح ولوط، قال تعالى في سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ(١٠)﴾.

وهكذا كانت دعوة القرآن الكريم إلى حسن العلاقة بين المرأة والرجل القائمة على الاحترام والصون والعفة والتكريم■

الهوامش:

(١) في النقد الأدبي، د.سعد ظلام، ص٨٣.

(٢) في كتاب خصوبة القصيدة الجاهلية يدرس المؤلف مطالع القصائد، ويرى أنها رمز لفكرة يدور حولها النص الأصلي، فغزل امرئ القيس رمز للملك الضائع، ص١٤٧-١٥٤، ورحيل أم أوفى في قصيدة زهير تشير إلى أثر الحرب في التفريق بين الأحبة، ص١٨٣. أما رأي الفقهاء في الغزل فينظر في كتاب الالتزام الإسلامي في الشعر، ص١٤٧.

(٣) ينظر كتابيَّ الحركة الشعرية في حلب، ص١٤٠-١٤٥، والشعر العربي في عصر الدول المتتابعة، ص٢٧٩.

(٤) الإسلام في المعترك الحضاري، عمر الأميري، ص٤٥ -٤٦.

(٥) ديوان الرصافي، ص٥٢٨.

(٦) ألوان طيف، عمر الأميري، ص١١٣.

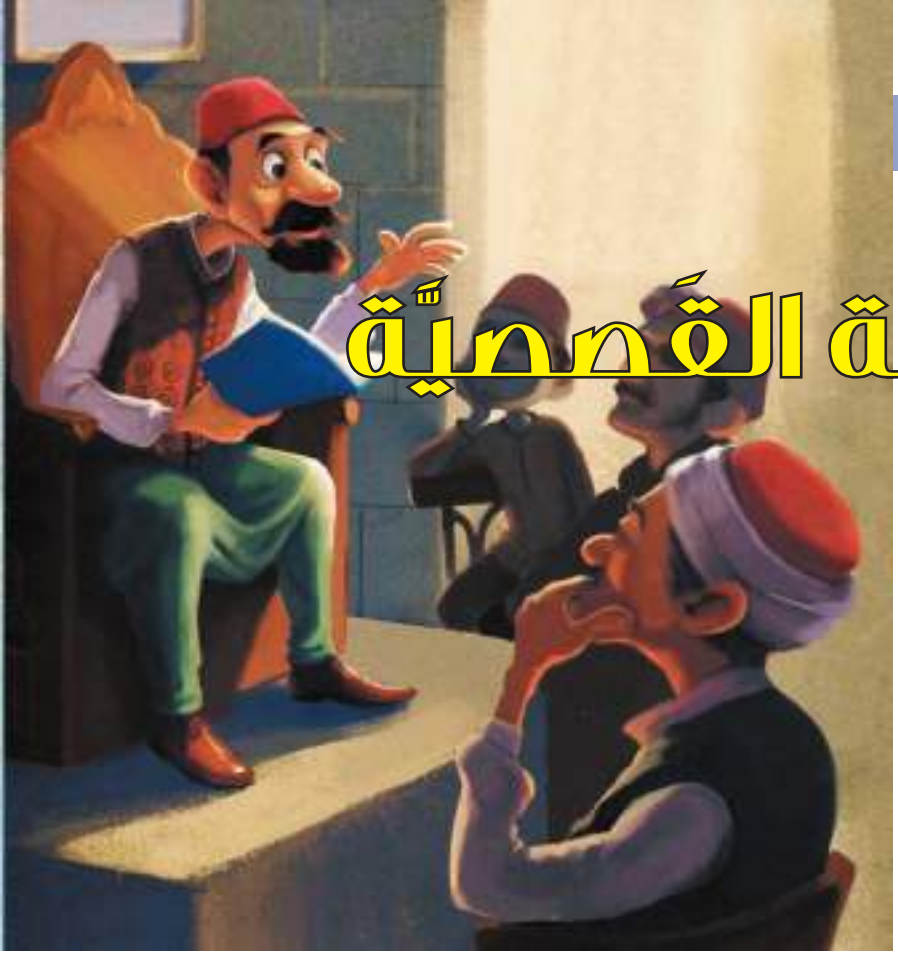

المقامة القَصصيَّة

د.غازي مختار طليمات – سورية

مدار هذه المقامة على رغبة البطل (حبيب بن لبيب) في أن يصبح أديباً ذا شأن، أو خطيباً مرموقاً، وهو لا يملك من أدوات هذين الفنين شيئاً.

ولما استشار في ذلك (سيار بن عيار) ردّه وصده لمعرفته بقدراته، فأخذ (حبيب) يتنقل في الاختيار بين التغريد والغناء والقصة القصيرة والأقصوصة، وهذه الأخيرة "لا تصدر عن ثقافة، بل عن حس ذي لطافة"، فما كان من سيار إلا أن اختار له اسماً ساخراً على عادته، وسماها (القُصاصة)، مبتعداً عن التسميات المركبة، جانحا إلى التسمية بلفظ واحد.

وشرع (سيَّار) يكشف دلالة الوزن الصرفي للفُعَالة، إذْ إن دلالتها الأساسية على الفُضالة، وهي "أيسر النصوص، وصاحبها يلوص وينوص، وقد يقصها بلا أحداث وشخوص، وقد يخفي شخوصها كاللصوص". وإذا خلت الأقصوصة من الشخوص "لم يبق إلا الاسترسال مع الأوهام والأحلام"، و"أقل كتابها من الأرباب، وجلهم بين متسلق ووثَّاب، وإن التغريدة والقُصاصة من أقزام الآداب، بل هما مصراعا باب، بلا حراس ولا حجاب، يدخله كل منتاب، فاقتحمه غير هيَّاب، وستكون قُصاصتك الفائزة، والحائزة على الجائزة"!.

***

قال حبيب بن لبيب: اشتهيتُ أن أرتديَ لَبوسَ أديب، لأختالَ ببزَّة شاعر أو بردة خطيب، فسألت سيّارَ بن عيّار، عن صنعة الخُطب والأشعار، لعلّه يختارُ لي ما يختار.

قال: نظمُ الشعر يحتاجُ إلى أنغام وعروض، ومنظومُك مردودٌ مرفوض، لأنك لا تميزُ هديلَ الحمام من طنين البعوض. أمَّا ارتجالُ الخطب، فأصعبُ أجناسِ الأدب، لأنه قرينُ نحوٍ وصرف، وأنت خدينُ لغوٍ وهرف. أنت لا تَميزُ الملحونَ من الصحيح، والعاميَّ من الفصيح. إن تكلّفتَ المنظوم، كنت أشأمَ من بوم، وأثقلَ من الهموم. وإن احترفت الخُطب، صرت خطْباً على الأدب.

قلت: إذا شقَّتْ عليَّ الخطابةُ والقصيد، فلأتمرَّسْ بفن «التغريد»،

فهو جنسٌ من الأدب جديد، لعلّي أُحسنُ فيه وأجيد.

قال: «التغريدُ» فنٌّ محدود، بحدود دقيقة وقيود. إنَّ المغرد يجتنبُ الإطنابَ والهرف، ويقيسُ «التغريدة» بالكلمة والحرف، ولسانُك مغرفةٌ تُحسن الغرف، ومجرفةٌ تُدمن الجرف. لو غردت صدعتَ الرؤوس بأغاريدك، وأوجعتَ النفوس بزغاريدك. فأرحنا من هذه الثرثرة، لأن الأدب بيانٌ لا مسخرة.

شعرتُ أن لسان سيار فأس، ينقضُّ بالبأسِ على الرأس، ويزرعُ في النفس اليأس. فقلت: علامَ تحوطُ موهبتي بالأسداد والأسوار؟ ألتحتكرَ أمجادَ الخطب والأشعار؟ قال: ويحك يا حبيب!! أتشكُّ فيَّ وأنت أنيسي القريب، وجليسي الأريب؟ وسكتَ ساخطاً وعبس، وما نبستُ ولا نبس، كأنه يفكر فيما التبس، ثم قال بعدما احتبس: اسمعْ لعلك تقنعُ بما اخترت، بعد أن فكرت وقدرت.

قلت: هات – رعاك الله – هات، لعلّي أستدركُ ما فات، وأصيبُ شهرةً قبل الوفاة، وقبل أن يؤولَ جسدي إلى رُفات.

قال سيار بن عيار، مازجاً النصحَ بالاعتذار: تستطيع أن تستجدَّ مجْدا، «بالقصة القصيرة جِدّا».

قلت: أهي جنسٌ من الأدب، لم يعرفه قدماءُ العرب. أم «قصة قصيرةٌ» أي «أُقصوصة»؟ أم قُصاصةٌ من أقصوصة مقصوصة؟

قال: هي طرفة لا تصدرُ عن ثقافة، بل عن حِسٍّ ذي لطافة، وأنت أوتيتَ نفساً شفافة، ذاتَ إبداع ورهافة، إذْ سميتَها بالفِطرة «قُصاصَة»، أي بكلمة صائبة كالرصاصة، لا بثلاث خائبة مُعْتاصة. أجَلْ، فَلْنُسَمِّها بكلمة وحيدة، كالخطبة والنثيرة والقصيدة، والقصة والمسرحية والأغرودة. أمَّا الأسماء المثلثةُ الألفاظ، فينكرُها «المربدُ» و «عكاظ».

قلتُ: رُبَّ رميةٍ من غير رام، وكم من جاهل بلَّغَك المرام، وهو لم يتعلم تشقيق الكلام.

قال: أنت صُغْتها على وزن «فُعَالَة»، الدالِّ على النفاية والعُلالة، كأنك تعلم ما في الوزن من دلالة، أو مغربلٌ ينخل الدقيق من النخالة.

قلت: قذَفَها على اللسان الإلهام، وعليك التفسيرُ والإفهام، بعبارات تَبْرأ من الإبهام. قال: صيغة «فُعالة» كقُلامة الظفر والحُثالة، وبقية الخمر والثُّمالة، تدلُّ حيثما وردت على «الفُضالة». والقُصاصةُ من القصِّ خلاصةُ الخلاصة، لكن كاتبها من ذوي الخَصاصة.

قلت: أخَصاصتُه في العواطف والمعاني، أم في الصور والمباني؟

قال: في كل ما يعاني. إن القُصاصة أمشاجٌ من قصّ، يهتبشُ منها المتطفِّلُ قبل المختصّ، فيطغى على المحسنِ المسيء، وعلى المتقنِ الرديء.

قلت: فيم طغيانُ الإساءة على الإحسان، والرداءة على الإتقان؟

قال: القُصاصةُ أيسرُ النصوص، وصاحبُها يلوصُ فيها وينوص، وقد يقصُّها بلا أحداث وشخوص، أو يخفي شخوصَها كاللصوص.

قلت: إذا لم يبق حدثٌ مفض لحدث في النصّ، وشخصٌ متحدٍّ لشخص، فماذا يبقى من القصّ؟

قال: يبقى الاسترسالُ مع الدوافع والأوهام، والانتقالُ من الوقائع إلى الأحلام. يقول أربابُ النقد، وأصحابُ الحلِّ والعقد: حَسْبُ الكاتب من الأحداث ومضةٌ بارقة، ومن الإحساس نبضةٌ دافقة. بلا عُقدة تُحبك، ولا طريق إلى الحلِّ تُسلك. وكيف يُتاحُ له العقد والحلّ، وهو لا يخاطب العقل، بما قلَّ ودلّ. بل يهتم بالإمتاع والإدهاش، لا الإقناع بالنقاش.

قلت: كيف أنجزُ الإدهاش، وأنا متطفِّلٌ هبَّاش، لا أميزُ قعقعة الرصاص من فرقعةِ الفتَّاش؟

قال سيار: هوّنْ عليك، ولا تُدِر الأغلالَ حول يديك. أنا أُيَسِّر، وأنت تُعَسِّر، والأمرُ أهونُ ممَّا تفسّر.

قلت: أخشى أن أكون المقصّر.

قال: ليس كلُّ من كتب «القُصاصةَ» أبدع، وأدهش بما كتب وأمتع، بل أقلُّ كتابها من الأرباب، وجلُّهم بين متسلّق ووثاب. إن «التغريدةَ» و«القُصاصة» من أقزام الآداب، بل هما مصراعا باب، بلا حُرّاس ولا حُجَّاب، يدخلُه كلُّ منتاب، فاقتحمْهُ غيرَ هيَّاب. وستكون قصاصاتُك الفائزة، والحائزةَ على الجائزة.

قلت: أكرِمْ بالجوائز من حوافز!! فهل يجوزُ منح الجوائز، بلا معاييرَ ولا روائز؟

قال: ليس القولُ الفصلُ لما يجوزُ وما لا يجوز، بل القولُ الفصل لمن يروزُ ومن يحوز. متى تشفَّعْتَ بعظام الرقبة أي بأهل النفوذ والبروز، فبالجائزة تفوز.

قلت: هل تتوقع أن يكون «للقصاصة» و«الأغرودة»، مكانةٌ محمودة، وجوائزُ مرصودة؟

قال: هذا واقعٌ لا متوقَّع، وشائعٌ فيما نُبْصر ونسمع. ألا ترى الحيتانَ تنتحرُ وتندثر، والفئران من كل جحر تنتشر. لقد انطوى عهد «الدينصور»، وأتى عهد «الترنزستور»، فقصقِصْ معي وغرِّدْ، وزغردْ حينما أزغرد، وأنشِدْ معي وردِّدْ:

غدا «الحرْدونُ» يُرقِصُه الحبورُ
فخاراً، حين بادَ «الدينصورُ»
ونقنقتِ الضفادع في المجاري
فقيل: هناك زقزقتِ الطيورُ
وعملقتِ «القُصاصةُ» كلَّ قَزْمٍ
فصالَ وجالَ، ينفشُه الغرورُ
فَرُبَّ قُلامةٍ من رأسِ ظفْرٍ
تطيرُ معَ الغبارِ إذا يطيرُ
و«بالتغريد» أو «بالقَصّ» غابتْ
لطلعتها الأهلَّةُ والبدورُ
لأن مجاهرَ «الإعلام» شاءت
لها التكبيرَ، فاحتجبَ الكبيرُ

* * *

زمانَ المسخ ويحكَ من زمانٍ
به يستنسرُ «الصوصُ»[1] الغريرُ
وفيه تقذف الأمواجُ عمْداً
على شُطآننا زبداً يفورُ
فردِّدْ قولةَ «العباس»[2] جهْراً
ليتَّعظَ المُكَبَّر والصغيرُ
«بغاثُ الطيرِ أكثرُها فراخاً
وأمُّ الصقرِ مِقْلات نزورُ»[3] ■

الهوامش:

(١) الصوص: فرخ الدجاجة، عامية فصيُحها القوب.

(٢) العباس: هو العباس بن مرداس شاعر صحابي.

(٣) المقلات النزور: التي يموت أولادُها وهم صغار فينزر نسلها. والبيت من شعر العباس، أو كثير عزة، أو معاوية بن مالك.

http://fedaa.alwehda.gov.sy/node/263276

توقير الصحابة

بديع الزمان الهمذاني

وكَّلني بالهمّ والكآبَةْ ... طَعّانَةٌ لعَّانةٌ سَبَّابَهْ
للسلفِ الصالحِ والصحابَهْ ... أساءَ سمعاً فأساء جابَهْ
فكيفَ من صدَّقَ بالرسالَهْ ... وقام للدّين بكُلِّ آلَهْ
وأحرز الله يد العقبى لَهْ ... ذَلِكُمُ الصّديقُ لا مَحَالَهْ
إمامُ من أُجمع في السقيفَهْ ... قطعاً عليه أنهُ الخليفَهْ
ناهيكَ من آثاره الشريفَهْ ... في رَدِّهِ كيد بني حنيفَهْ
سَلِ الجبالَ الشُّمَّ والبحارا ... وسائلِ المنبر وَالْمَنَارا
واستعلم الآفاقَ والأقطارا ... من أظهر الدين بها شِعارا
واستنجزَ الوعدَ فأوْمى الله ... من قامَ لما قعدوا إلا هو
إنَّ امرأً أثنى عليه المصطفى ... ثُمَّتَ والاه الوصيُّ المرتضى
واجتمعت على معاليه الوَرَى ... واختارهُ خليفةً ربُّ العُلا
واتبعتْهُ أُمَّةُ الأُمّيّ ... وبايعتهُ راحةُ الوَصيّ
إن أميرَ المؤمنين المرتضى ... وجعفر الصادقَ أو مُوسَى الرِّضَى
لو سمعوك بالخنا مُعَرِّضَا ... ما ادَّخَروا عنك الحسامَ المنتضَى
يا مَنْ هجا الصّدّيق والفاروقَا ... كيما يقيمَ عند قومٍ سُوقا
نفخت يا طبلُ علَيْنا بوقَا ... فما لك اليومَ كذا موهوقَا
إنك في الطعنِ على الشيخينِ ... والقدح في السَّيِّد ذي النورينِ
لواهِنُ الظهرِ سخينُ العينِ ... معترضٌ للحَيْن بعد الحينِ
هلا نهتك الوجنة الموشومَهْ ... عن مشتري الخلد ببئر رومَهْ
كفى من الغيبة أدنى شمَّهْ ... من استجاز القدح في الأئمَّهْ
ما لكَ يا نذلُ وللزكيَّهْ ... عائشةَ الراضيةِ المرضيَّهْ
يا ساقطَ الغيرة والحميَّةْ ... ألم تكن للمصطفى حظيَّهْ!؟
وقُلتُ لَمَّا احتفلَ المضمارُ ... واحتفتِ الأسماعُ والأبصَارُ
سوفَ ترى إذَا انْجَلى الغبارُ ... أفرسٌ تحتك أم حِمَارٌ

(*) بديع الزمان الهمذاني: أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، أبو الفضل (٣٥٨هـ-٣٩٨هـ/٩٦٩م-١٠٠٨م) أحد أئمة الكتاب، اشتهر بفن المقامات، وكان شاعراً وطبقته في الشعر دون طبقته في النثر، ينتمي إلى أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة، ولد في همذان، وتوفي بهراة.

أحمد محمود مبارك

ومضة في جبين الجواد

الشاعر الصديق أحمد مبارك واحد من شعراء الثغر السكندري المعاصرين المتميزين، له في حديقة الشعر «تداعيات ١٩٩١م»، و«في انتظار الشمس»، و«في ظلال الرضا ١٩٩٦م» وغيرها.

ويأتي ديوان «ومضة في جبين الجواد» ليصدر في فترة مليئة بالمتناقضات النفسية والاجتماعية والأخلاقية ليجعلنا ننتبه للأدواء الغائرة في روح عالمنا الذي نعيشه ونحياه بخيره وشره، تلك التي ردتنا إلى الوراء باسم التقدم والحضارة والحداثة وغيرها، وخطت خطوات أفسدت روح الشاعر والمتلقي معا، حتى ما عاد الشاعر يجد فرصة ليصفو مع نفسه المتوهجة ساعة ليعكس هذا الصفاء إلى قارئه وسامعه، وإنما تحت مسمى الحداثة وما بعدها حدث العكس تماما، فانفضت مائدة الشعر وما عاد عليها مايروح النفوس لتصفو وتنعم بأريجه.

ناجي عبد اللطيف – مصر

إن الأستاذ مبارك حين أطل علينا بهذه المجموعة الشعرية المتميزة بدا كأنه نذير جاء لينبهنا إلى أدوائنا، ويضيء لنا الدرب لنفهم ما استغلق علينا أحيانا. إنه في هذه المجموعة يرصدنا أو قل يذكرنا ببعض القيم والأخلاقيات التي نعم بها الآباء والأجداد، وضيعها الأبناء والأحفاد تحت هذه المسميات الغريبة، والمصطلحات المريبة؛ حتى باتت معاني الحب والصدق والخير

والجمال والكلمة الطيبة ضربا من ضروب التخلف والرجعية في هذا الزمان الذي فسدت فيه نفوس البشر.

إنك حين تطالع قصائد هذه المجموعة تجد نفسك مدفوعا لأن تأتي من ذاكرة القلب بتلك الأخلاق الحميدة والقيم التي تبني وتهذب، وتدفع إلى الأمام لتبث في فؤاد كل منا نورا يجدد الإيمان ويصلح ما أفسده الناس في زمانهم، ومن هنا كان ضروريا أن نطرح هذا الواقع أمام أعيننا، ونحن نطالع هذه المجموعة لنشعر بقيمتها عملاً إبداعياً متفوقاً، أو نتيقن من مدى حرص الشاعر على حفظ تلك القيم الأخلاقية، وطرحها علينا في مناخ قل أن نجد فيه من يشد على يديك، ويصحبك في الطريق إلى الحق والخير والجمال.

فإذا كان الأستاذ الدكتور محمد زكريا عناني قد قدم بكلمة لهذه المجموعة مستهلا بما أسماه «الملمح الشخصي» الذي يسعى سدنة النقد الآن للتعتيم عليه، فقد أحسست أنه قد وضع يده على السر في تقويم شعر ما، ذلك لأن الشعر لا يستقيم له هذه الصفة حتى يكون صاحبه شاعرا اجتمعت له مقومات الشاعرية الحقة، ثم لا يغيب عنها بعد «شخص الشاعر» نفسه. إنه البصمة الحقيقية الدالة على شعره، والتي تعطيه بالفعل قيمته. ولسنا في هذا إلا مرددين لما استقر مفهومه زمانا، وخاصة عند العقاد ومدرسة الديوان، وأبوللو وما بعدها، وما نلحظه بعد في شعر أحمد مبارك يعلمنا أنه قرأ واستفاد من مدارس الشعر المختلفة، وخاصة ما جاء بعد منتصف القرن الماضي مما عرف بمدرسة الواقعية الشعرية، تلك التي أسس لها صلاح عبد الصبور، وحجازي في آخر الخمسينيات.

ولعله يحسن أن نضيف هنا أن الملمح الشخصي يمتد برغم هذا الجانب من الذاتية منه إلى تجارب الشاعر الشعرية فتكشف من جهة عن صدقه والتزامه أخلاقيا فيما جنَّد له شعره، وتكشف مرة أخرى عن صلتها بواقعه الذي يحرص على تصويره وعكسه للمتلقي بعد أن امتلأ ثقة في شاعره لإحساسه بصدقه، ونبل مقصده من وراء إبداعه.

أحمد محمود مبارك

محمد زكريا عناني

ومع ذلك فلسنا بصدد طرح الملامح الشخصية لشاعرنا، فهذه الصفحات القليلة مخصصة لدراسة شعره، ثم يأتي تبين ملامحه الشخصية فيها تلقائياً ومنطقياً معاً؛ بحيث يجعلنا نوقن بأن هذه النصوص لأحمد مبارك خاصة دون سواه، غير أنه لا ينبغي أن يفوتنا أن نشير إلى ملمح رئيسي في شخصية أحمد مبارك، وهو ملمح الإسلامية عنده شاعراً

تتجلى في تجاربه الوجدانية الفردية من ناحية، كما تتجلى في تجاربه التي يمس بها هموم أمته عامة. ومنها همُّ فنه الشعري الذي ترصده غربان الساحة، الأمر الذي يبدو معه مرتدين إلى الأساس في التربية إلى الأب، فيوضح لنا كيف ربَّى!؟ وكيف نمَّى أولاده حتى استوى على خير ما يرجَّى منه قوة ونضجا!؟ الأمر الذي رأينا مبارك يؤكده في إهدائه أكثر من ديوان لأبيه ومنها هذا الديوان «ومضة في جبين الجواد»، حيث يقول:

مرة أخرى
إلى روح أبي
الذي عاش شامخا
عفيف النفس
ومات واقفا كالأشجار.

وهو ما قاله تقريبا في إهدائه لديوانه «في انتظار الشمس».

وقد انعكس أثر هذه التربية الإيمانية في أحمد مبارك الإنسان أولاً، ثم فيه شاعراً ثانياً. فجاء شاعرنا بهذه الطاقة الإيمانية التي دفعته للكتابة، وهذا الملمح الإيماني يعد ملمحا ضروريا للتعرف على شاعرنا، وشخصيته، وروحه الحية التي تجسدت بشكل واضح في قصيدته «ومضة في جبين الجواد».

الملمح الإيماني بين الأصالة والمعاصرة

قراءة في قصيدة «ومضة في جبين الجواد»

قالَ لي:
ذاتَ يومٍ أبي

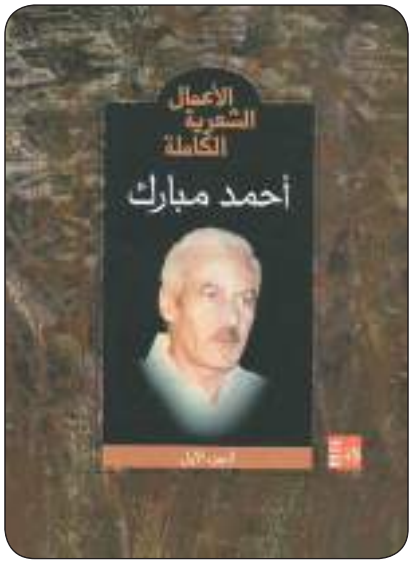

وضِيا وجْهِهِ ينفضُ الغيْمَ عني،
وراحتهُ
فوقَ صدري ضِمادْ.
لستَ أولَ من شربَتْ
جهْدَهُ،
يا بُنيَّ بذورُ الأماني،
وقهقهةِ الريحُ،
في قبْضتيهِ
أوانَ الحصادْ.
كانَ مثلكَ،
مَنْ غرَّدَ الطيرُ،
فوقَ روابيهْ،
وابتسمَ الزهرُ،
حينَ أصرَّ
ولمْ ينكسرْ للأسى،
والصهيلُ الذي فزَّعَ الليلَ،
وانسابَ ينثرُ ورْدَ الشموسِ،
بساحِ الجهادْ!.
كبَّلتْ خطْوَهُ،
كبوَاتٌ مُشبَعَةٌ بالدجى،
غيرَ أنَّ الجيادْ،
داستِ الكبَوَاتِ،
وشقَّتْ ركامَ الظلامِ،
فَقُمْ،
لا تُطِلْ يا بُنيَّ،
بكهْفِ القنوطِ الرقادْ.
ابتهجْ يا أبي،
ها أنا بعدَ عمرٍ طويلٍ مضى،
لم أزلْ،
أتْبَعُ الكدَّ كدًّا،
وأستطيبُ العزمَ
ماءً وزادْ.
أيْنَعَ الغَرْسُ
بالثمرِ الحلوِ،
أمْ لَيْسَ يطرَحُ،
إلا صفيرَ الرياحِ،

ووَخْزَ القتادْ،
يتعثرُ خطوي الأبيُّ،
وينهضُ،
والرحلةُ المستضيئةُ بالعزمِ لا تنتهي.
غيرَ أنى أدوسُ انكساري،
وأشرَبُ صَفْوَ انتصاريَ،
منْ ومْضةٍ
في جبينِ الجواد.

***

ومضة في جبين الجواد؛ هي في الظاهر عنوان لديوان شاعرنا، وكذلك عنوان لقصيدته الأولى. وفي الحقيقة أنها تمثل شخصية الشاعر أحسن تمثيل، فعندما تقرأ هذا الديوان تجد أن أول ما يطالعك هذا الإهداء الرقيق: «مرة أخرى إلى روح أبي»، فالشاعر يضع أيدينا على بداية الطريق من خلال وفائه لأبيه ومعرفته التامة بأنه امتداد طبيعي له، وأن إيمانه الذي يملأ قلبَه هو فيضٌ من فيوضات أبيه الإيمانية التي تجلت واضحة في تربيته لابنه حيث قام ببذر البذور وري الأرض حتى نما الزرع، وجاء وقت الحصاد.

ويؤكد ذلك قصائد الديوان الأولى، والتي تحمل عنوان: ومضة في جبين الجواد، والجذر، وإشراق، واللباب.

إن هذه القصائد ليست وليدة الصدفة أو التجربة أو الحال أو ما شابه ذلك مما يعتري شعراء هذا العصر في كتاباتهم الدينية، وإنما تمتد في جذورها في أعماق أعماق الأرض، أقصد روح

الشاعر وقلبه منذ أول الطريق يقول الشاعر في قصيدته «ومضة في جبين الجواد»:

قالَ لي:
ذات يومٍ أبي
وضيَا وجهِهِ ينفضُ الغيْمَ عني،
وراحَتُهُ فوق صدري ضمادْ.

هكذا كان يُعلِّمُ الأب ابنه بهذا المحيا الوضيء، وهذا الحنان الدافئ، الذي يملأ القلب، فيحرثه كما يفعل الزارع حين يبذر البذور إلى أن يحصد ثماره الطيبة.

فانظر إلى هذا المفتتح:

قالَ لي
ذات يومِ أبي.

كيف يفتش شاعرنا في ذاكرته عن قول أبيه، ويبحث عنه ضمن شرائط ذكرياته المختزنة في أعماق نفسه، والمحفوظة بعيدة عن أي شيء يفسدها عبر الزمان الطويل، وكيف ضفَّر شاعرنا لغة الاسترجاع بكل ما فيها من معاصرة، وهو يبحث في أعماق أعماقه ليصل إلى أصالته طارحا أمامنا مشهداً حيوياً. حيث يقول:

وضيا وجههِ ينفُضُ الغيمَ عني،
اوراحتُهُ
فوق صدري ضمادْ.

إنه في البداية شغلنا بحاسة السمع، واستعد كل منا ليسمع نصيحة الأب لابنه حين جاء بفعل القول، وأضاف إليه القص ليجذب انتباهنا للمحة طفولية

قديمة، تحمل في طياتها حكايا الآباء، حملت لنا في ثناياها كل ميزات الآباء والأجداد في ثوب شيق سهل يجذب الانتباه، بالإضافة إلى وجه والده الذي ملأ المشهد أمام النظارة في هذا المشهد الحيوي الذي استدعى أمام القارئ ليس فقط لقاء بين الأب وابنه فحسب، ولكن روح اللقاء ومشاعر الابن لأبيه، وكيف احتفظ بها الشاعر عبر هذه السنين حية تحمل

لغة عالية تحمل عبق الماضي وعطر الحاضر، تبرز لنا حنان الأب ودفء قلبه وراحته، وهي تمسح صدر شاعرنا، وكيف استقبل الابن هذا كله في كلمة عالية تحمل في داخلها الكثير، حين يقول:

فوقَ صدري ضِمَادْ.

وما يعنيه الضماد للجرح دفء المشاعر، وحميمية اللقاء، ولم يمسَّها ما يعكر صفوها، أو يفسدها عبر سنيّ الزمان. هكذا تفوق شاعرنا على نفسه في لغة بسيطة مركبة في آن واحد، تحمل خبراته الطويلة في عالم الشعر، تحمل علامات نضجه الفني وموروثه الغني.

إنه يتكئ في هذا العمل على لغة السينما، وهي لغة معاصرة تحمل مفردات العصر، إلى جانب أصالته الضاربة بجذورها في أعماقه، والثابتة في أرض آبائه وأجداده منذ آلاف السنين، ويستطرد الشاعر في سرد حكايا أبيه إذ يقول:

لسْتَ أولَ منْ شربَتْ جَهْدَه،
يابنيَّ بذور الأماني،
وقهقهتُ الريحُ
في قبضتيهِ
أوانَ
الحصادْ!.

إنه يضع يده بمهارة الجراح الماهر على جرح غائر في داخل ابنه، الذي ضاع جهده وتعبه هباء، وعاد صفر اليدين بدلاً من أن يملأ كفه بالثمار.

إنه يقر ويعترف بجهد ابنه وعطائه الدائم، فهو لم يبخل أو يتكاسل، إنه أدى واجبه على أكمل وجه، ولكن حدث العكس فقد:

شربَتْ جَهْدهُ بذورُ الأماني.
قهْقهَتْ الريحُ في قبضتيهِ
أوانَ الحصادْ.

إنه قضاء الله وقدره، وعليه أن يؤمن به، ولا يعترض على ذلك، ويأتي الأب ليطرح مشهدا مماثلا لمشهد ابنه، فها هو ذا

الأب يرفع ابنه المنكس ليطرد عنه ذلك الغول الذي يجثم فوق صدره حتى يكاد يقتله؛ ألا وهو اليأس. يقول الشاعر:

كانَ مثلك
مَنْ غرَّدَ الطيرُ
فوقَ روابيهِ
وابتسمَ الزهرُ
حينَ أصرَّ،
ولم ينكسرْ للأسى.

ويأتي مشهد ناضج يحمل بين طياته درسا جديدا للابن، إنها الحقيقة واللؤلؤة التي يود أن يضع يده عليها ليقتنصها من خزانة والده، ليتعلم منها الدرس أو قل: إنه يستخرج يد أبيه التي سبق أن ضمد بها والده جرحه القديم ليضمد بها جرحه الجديد، فجاء هذا المشهد الرائع، إذ يقول:

والصهيلُ الذي فزَّعَ الليلَ،
وانسابَ ينثرُ
وردَ الشموسِ
بساحِ الجهادِ،
كبَّلتْ خطوَهُ
كبواتٌ مُشبَعَة بالدجى،
غيرَ أن الجيادَ
داست الكبواتِ،
وشقتْ ركام الظلامْ.

انظر كيف طرح الأب درسه الشيق على ابنه من خلال معركة حربية في ساحة الجهاد، في لغة عالية تتكئ على موروث إسلامي عال، ألا وهو الخيل التي تصهل في ساحة الجهاد لتصل في النهاية إلى الحق والخير والنصر لدين الله، مهما واجهتها من عثرات كبلت خطوها إلا أنها تقوم وتشق ركام الظلام لتحقق وعد الله لها بالنصر والظفر طالما أنها تمضي في سبيل الله. وبالتالي؛ على شاعرنا أن يتعلم من الجياد، ويقوم من رقاده، ليعاود الكد والاجتهاد، لذا جاء السطر التالي يحمل فعل الأمر بمفرده، إذ يقول:

فقمْ.

ليس هناك خيار بين بين، لكنه القيام ومعاودة التعب والكد ليصل إلى مراده الثمين، فهو لم يزل على العهد حيث يقول:

ابتهجْ يا أبي،
هاأنا بعد عمرٍ طويلٍ مضى،
لمْ أزلْ، أتبعُ الكدَّ كدَّا،
وأستطيبُ العزمَ
ماءً وزادْ.
أينعَ الغرسُ
يتعثرُ خطوي الأبيّ،
وينهضُ.
غيْرَ أني أدوسُ انكساري،
وأشربُ صفوَ انتصاري،
منْ ومْضَةٍ في جبينِ الجوادْ.

إنها اللؤلؤة التي يحتفظ بها بميراث أبيه ومضة في جبين الجواد؛ تلك التي تعود به إلى ساحة الجهاد ليصهل من جديد، ويحقق النصر والظفر في سبيل الله، لأنه ضمن النصر من عند الله فلا مجال لليأس والقنوط، فطالما أن قلبه مفعم بالإيمان وبنور الله، هذا الإيمان الذي يدفع به دائماً إلى الأمام مهما واجهته الصعاب، إيمانه القوي بالله وبقضائه وقدره، خيره وشره. هذا الإيمان هو البذرة التي زرعها الأب في قلب طفله الصغير، وهو الآن يجني ثمار إيمانه القوي، وقلبه العامر بأنوار الله.

إننا أمام تجربة عالية لشاعر سامق يحمل بين جوانبه حرفة الشعر، وبكارة الحلم، ونضارة الإبداع. إنه الشاعر أحمد مبارك قصيدة تمشي على الأرض، تحمل في داخلها عبق الماضي، وأريج الحاضر، وأصالة الآباء ومعاصرة الأبناء عبر طاقة إيمانية عالية تمتد عبر جذورها إلى عنان السماء■

ظلُّ الأيك

د.عبدالرزاق حسين – الأردن

في ظلِّ أيكِ الشّامِ نَبْتَرِدُ
وإلى رُباها الشَّوقُ يَتَّقِدُ

الشامُ روضُ الأرضِ جنَّتُها
وإلى جَناها الكلُّ يرْتَفِدُ

الشّامُ عينُ الأرضِ بُؤْبُؤُها
وبدونِها عَمْيا بها رَمَدُ

بُوركتِ أرضَ الشّامِ يا وطنًا
تهفو القلوبُ عليهِ تنْعَقِدُ

هذي فلسطينٌ لُبابَتُهُ
"بوركْتِ" في التنزيلِ مُسْتَنَدُ

بيتٌ لِقُدْسِ اللهِ والمسْرى
بنبيّنا والأنبيا وفَدوا

والأردنُ الغالي به شممٌ
مرفوعةٌ راياتُهُ رَشَدُ

ودليلُهُ لبنانُ شامتُهُ
حُسْنًا لهُ بالحسنِ ينفردُ

الشامُ سوريّا بهالتِها
حبّاتُ عِقْدِ الشّامِ تَنْعَقِدُ

عِقْدٌ بجيدِ الدَّهْرِ جوهرُهُ
تُفدى بهِ الأموالُ والولَدُ

فلإسمِها لحنٌ تُمَوْسِقُهُ
أكبادُنا والطائرُ الغَرِدُ

نقشٌ منَ الحنّاءِ في يَدِها
رسمٌ لأبطالٍ بها عَقَدُوا

رايات فتحٍ في الذُّرى ركزوا
وبها إلى الأمجادِ قد صَعَدُوا

فلخالدٍ غنَّتْ عنادلُها
ولذكْرِهِ الأعداءُ ترْتَعِدُ

لأبي عبيدةَ فخْرِ عزَّتِها
تاجٌ منَ الأمجادِ ينعَقِدُ

والشُّرحبيلُ الفذُّ فارسُها
ولهُ بصولاتِ الوغى شَهِدُوا

عمروٌ وماعمروٌ!؟صويحبُها
ليثٌ لساحاتِ الوغى يردُ

هذا صلاحُ الدينِ حرَّرها
منْ خوفِهِ الإفرنجُ قد شَرَدُوا

وعلى مدى الأزمانِ يحرسُها
شوسٌ من الأفذاذِ قدْ رَصَدُوا

أرواحَهُم وقفًا لطلعتِها
ودماؤُهمْ من أجلِها مَدَدُ

الشَّامُ طِرْسٌ فيهِ قدْ كُتِبَتْ
صفحاتُ مجْدٍ ضوؤها أَبَدُ

فَلِصَدْرِها ضمَّتْ صحابَتَنا
وعلى ثَراها الأَنْبياءُ سَجَدُوا

جليس صالح

ناصر عبد الله الخزيّم - السعودية

حديثُهُ ذابَا ... في الرُّوحِ وانسَابَا
يجيءُ كالبُشْرى ... عِطْراً وترحابَا
يَسلُّ أضواءً ... من منطِقٍ طابَا
فإن مضى أبقَى ... في النفسِ آرابَا
وإن أتى آبَتْ ... للنبْعِ إذ آبَا
يُصيِّرُ المَعْنَى ... واللفْظَ أتْرابَا
بِموجَزٍ يُبدي ... معناهُ إطنابَا
ويجعلُ الحلْوَى ... لقولِهِ بَابَا
فإنْ أَلِجْ أَقطِفْ ... نَجواهُ إعجابَا
وإن جَرى أغرِفْ ... عِلْمًا وآدابَا
ورأيُهُ يُحذي ... في الأرضِ طُلابَا
كأنَّه دوح ... تَبثُّ أسرابَا
وإنْ بدا لَبْسٌ ... انداحَ إعرابَا
لمْ يغلُ في مدحٍ ... وليسَ عيَّابَا
بل يقصدُ المَرْمَى ... مُسنّنًا نابَا
ويصطفي صَيْدًا ... يسرُّ أصحابَا
لقيتُهُ شَدوًا ... يموجُ وثَّابَا
عَدلاً إذا عادى ... غيثًا إذا حابَى
عاتَبْتُهُ يومًا ... فَشَعَّ إعتَابَا
وردّني نوراً ... وكنتُ مرتابَا
يشُدّ في حِلْمٍ ... للحبّ أسبابَا
وإنْ علا لغوٌ ... في مجلسٍ غابَا
وحارَ في يأسٍ ... مَنْ كان مُغتابَا
وارتدَّ مكسوراً ... من كان كذّابَا
إذ قد رأى صُبحًا ... يُذِلُّ مَنْ خابَا
ما أطيبَ اللقيا ... بِصيّبٍ صابَا

لطالما استوقفتني نصوصُ الكاتب المبدع د.حسين علي محمد- رحمه الله-، فوقفت أتعلّمُ منه المهارَةَ الإبداعية التي وهبه الله إياها في الكتابة شعرا وقصًا ونقدًا، وكيف أنه كان يُقدّمُ للنصّ من أدواته الكثيرة ما يلزمه ليتحول إلى نَصّ ناضج وعميق مُدهش.. فلم يكن -رحمه الله- من ذوي الأنفاس الطويلة أو القصيرة، بل كان منسجمًا مع ما يريد الكتابة عنه.. وكما كان يبرع في الشعر والمسرح.. كان يبرع في القصة القصيرة والقصيرة جدا.. براعة تعلمتُ منها أنّ الفنّ هو أن نصوّرَ الأشياء بعدَسَة بصيرة ونافذة.. لا أن نكتبها كيفما كانت لأنها كانت فقط!

قراءة فنية في التغريبة اليمانية

للقاص د.حسين علي محمد (رحمه الله)

لبابة أبوصالح - سورية

ثلاث قصص قصيرة جداً من التغريبة اليمانية

بقلم: د.حسين علي محمد

الرحلة الأولى

هذه هي رحلتي الأولى إلى قرية «بني علي» من قرى «الوصاب السافل».

السيارة تكاد تغرق في سيول زبيد ما بين «الجراحي» و«الأحد»!

هواء الليل البارد في منتصف سبتمبر يدير رأسي.. إلى كل ذبالة مصباح في القرى التي نمر عليها مُعلقة على قمم الجبال.

أرتدي نظارتي الطبية.

أحدق بشدة.

لعلي ألمح عبر رشات الندى الذي يتسلل من النافذة وجهاً نحيلاً، طيباً..

كوجه أمي.

الباذنجانة الصغيرة

الباذنجانة الصغيرة البيضاء معلقة في يد الطفل الصغيرة ويده الثانية متشبثة بفستان أمه.

تمشي معتدلة كمهرة برية تتخطر.

وتجري خُطاه الصغيرة، حتى

توطئة:

في وقفة تمتزج مع تداخلات ثلاث قصص قصيرة، بل ثلاث وقفات قصيرة، نقرأ بُعدين يستبدَّان بصياغة شفيفة تستبد بدورها في ذاتٍ قارئةٍ ليست كأي ذات..

البعد الأول يقف عند كونها (مِن) والأخرى عند (التغريبة).. ليكون للمكان (اليمانية) سطوة استبداد ثالثة هي من حرّكت قوى الإبداع في القاص د.حسين علي محمد.. وملّكته القدرة الإبداعية في غيبوبة واعية.. وغفوة محملقة في بؤرة إحساسه..

فـ (مِن) تعبر بنا إلى يقينٍ بأنه البعض فقط (الجزء).. والغاية منها أن يخوض بنا القاص بعض الدروب من تغريبته.. لا أن يستعيدها برمتها.. رغم أنه لم يختر هذا الخوض.. وهو أحد احتمالين إما أنها لاحت بفجر ذاكرته.. أو أنها انقضَّت بهيئة حمى إبداعية عليه في أثناء تغريبته.. وفي كلتا الحالتين.. نجد للمكان سلطة لا يُغفل عنها إذ جمعت ثلاث (قصص/وقفات) بشريطة واحدة..

لم تكن التغريبة اليمانية هي التغريبة الوحيدة التي عاشها القاص ونهل منها معبرا عما قاساه وتمتَّعَ به في زمانات ومكانات الاغتراب، كما لم تكن هي المحرك الوحيد الذي يستخدمه القاص ليُعبّرَ من خلاله عن الكثير مما يشغل باله ويُهمّهُ، بل يتقاطَعُ مع الواقِع بتفاصيله الصغيرة..

هذه التفاصيل الصغيرة تحديدًا هي أساسُ نجاحِ القصة القصيرةِ عند القاص.. لما لها من وقعٍ يُماثل وقعَ قطرة من الزيت على النار.. لتمتد ألسنةُ النارِ مضيئةً بعيدًا فينا فتُشعل الرؤى العديدة العميقة.. بنظرةٍ واحدةٍ ووقفةٍ قصيرة..!

ففي (الرحلة الأولى): أجواء مفعمة بالشجون، تترك القارئ في سكون يعبث بأضلعه:

«لعلي ألمح عبر رشات الندى الذي يتسلل من النافذة

وجهاً نحيلاً، طيباً..

كوجه أمي.»

يظل ممسكاً بذيلها!

تجري خطاه الصغيرة..

وتجري

لا يلتفت إلى الباذنجانة التي قضم منها قضمةً واحدةً..

.. هوتْ إلى الأرض مباغتةً

لم يُحس بها، ولم يلتفت إليها!

تنتظرها النمال التي لم تتناول إفطارها بعد .

في هذا الشِّعب المشمس، بين قريتيْن.

حياة!

أجلس في غرفتي الملحقة بالمدرسة فوق السرير الذي أعدتُ ربط أركانه وقاعدته بحبال بلاستيكية اشتريتها من بقالة «محمد الصغير».

أطالع مجلة «اليوم السابع».. الموضوعات السياسية الساخنة أولاً، ثم السينما، ثم بقية الفنون.

ها هو يوم جليدي آخر.

درجة الحرارة لا تتعدى الصفر.

العنكبوت الممدد بين ضلفة الباب المعتمة، والركن.. يُخيل لي مع التصدع الباقي من أثر الزلزال أنه يُشبه خطيباً يصرخُ في الناس، وترتفع يداه كخطيب سياسي يُضاحك الجماهير!

أتنحنح..

لا أسمعُ إلا صوتي!!

وبعد النقطة تبدأ حكاية طويلة لمَّا تنتهِ بعد؛ ربما السبب هو ذلك البحث عن ماضٍ له دفء الماضي، لكن البحث لا يجيء بحثًا أو تنبيشًا.. بل يأتي كأنه حركةُ انتشال للذاتِ من قسوة الواقع ووضوح الرؤية التي تزيد التعب تعبًا؛ فالواقع قد أصبح واضحًا فوق العادة وفوق الاحتمال، لم تكن الصور هي مقصَده، وإنما يقصد أحداث الليل برمته.. لها من الليل ظلمته فقط والرغبة في النجاة من خُنَّاقه..

ولعل الأمنية التي أقفلت النص وشت بتلك الرغبة.. ولم تُقفِلها إلا هناك..

ثم تأتي (الباذنجانة الصغيرة) لتصدمنا خلال العرض السريع بحقيقةٍ نُدركها.. لكننا كثيراً ما نتناساها في زحمة الحياة!!

حيث عرضت جزءًا من سيرورة الحياة، التقطت حركتها من علٍ، متنقلة.. مبرزة التنقلية الحياتية، فدائمًا نجدُ شيئا يهب شيئًا، وأن حياة الكائنات قائمة بعضها على بعض، بدءًا بالإنسان، وصولا لأدق الكائنات حجمًا كالنمل، وفي النهاية تمحوُطٌ وتقوقع في مكان صغير مزدحم:

(في هذا الشِّعب المشمس، بين قريتيْن.)

ففي هذا الشعب المشمس تعيش حكايات كثيرة.. لا حدَّ فيها للخيال إن أراد تلمُّسها وتأملها، تختصر فيه صراع الحياة والبقاء.. صراعًا لا مكان لمفهوم (الصراع الحقيقي) فيه، بقدر ما هي تراتيب الحياة التي تُسقِط الباذنجانة (البيضاء) من يد الطفلة بعد قضمة واحِدة..

فلو وقفنا ها هنا فقط لنسأل عن دلالة القضمة الواحدة!!..

ألا نقرأ في فنجان الواقع تلك الأشياء التي نفقدها قبل أن نشاء.. وفي بغتة منا.. دونما إرادة؟! رغم أننا لا نكون قد قضمنا منها أكثر من قضمة واحِدة!..

أين نحن من ذلك الفقد!!..

حسبي أن أقف عند هذا السؤال، ولقد سكت عنه القاص كذلك؛ حين أراد أن يتبَعَ الباذنجانة.. ونغيب نحن في شعاب غير مُضيّعة.

وتأتي (حياة) مُكثّفة بمفرداتها وتراكيبها الذكية:

- الطقس.
- تهلهل السرير.
- تصدع الجدار.
- محاولة الشخصية للإبقاء على فائدة كل

شيء آيل للانتهاء بفعلٍ خارج عن الإرادة.

ثم ذلك التسرُّب إلى هيئة (سياسي / عنكبوت) في ثنائية موحية بالكثير نجد فيه إسقاط فعل السياسي على كائن كالعنكبوت الذي يقف متوسطًا بيته الواهن.. والاستفادة من خواص هذا الكائن الصغير الضعيف وما يملكه تمليكًا للسياسي.. واستقصاء كل الدلالات التي تؤديها هذه الثنائية للإفصاح غيبًا عن حالة ما!!.. تسكت عنها الألسن لئلا تسقط في هوة الخطأ الأحمر.. ويُكتفى بالوشاية!!..

– أيضًا دلالة (يضاحك)..حيث إن الفعل مأخوذ من الضحك.. ولكنه لم يفد ها هنا الضحك في معناه الأصلي.. لأنه محمَّل بدلالة ياء المضارعة وألف المفاعلة (يضاحك).. إذ ثمةَ فعلا (المنافقة) أودى إلى فعل (المجاملة) وكانت الوسيلة هي الضحك (المضاحكة).. وحين يستخدم القاص (ضحِك) فإنه لا يقصِد الابتسام ولا يقصِد ذلك التعبير الأدائي الدال على الفرح أو القهقهة السعيدة.. وإنما يقصد الضحك الذي نمارسه في كل ما لا نُتقِن البكاء عنده.. في مقام يشبه (شر البلية) / وصولية مواطن / سخرية ماقِتة للخطيب السياسي الذي يبدأ الخطبة بكذبة، ويختمها بكذبة، تتلاءمان فيما بينهما مع أكاذيب متباينة الأحجام والأشكال والألوان إلا البيضاء منها، بينما يُخفِق المنصتون في ابتلاعها.. بدون ضحك، يودي إلى مضاحكة (من السياسي)!!..

* * *

إن النصوص الثلاثة مليئة بالكثير مما يمسِك بخيوط عدة: الاجتماعي منها والسياسي والاقتصادي والحيوي بكل ما تحمله من عجاب.. وغيره..

وإن في ذات القارئ الواعي بوصلة خاصة تأخذه إلى مواطن التعبير والقصد التي تحملها دلالات تعيش في سياقات القصص.. وتؤديها اختصارات وصورٌ صغيرة متساقطة من فضاءات الحياة البسيطة..

ولطالما كانت هذه مهمة القاص الواعي والمتابع لأحداث الواقع الذي يُحيط به، القاص الذي يخرُجُ من عميقِ التجربة بِدِقَّةِ الرؤية.. يرسُمُ لوحاته القصصية بتكثيفٍ إبداعي مُبهِرٍ، ليُعلِّقَها بعدها على جِدار من تغريبةٍ عاشها.. وقاساها.. وتركتْ فيهِ أثرها المختلف■

يا جنتي..

يوسف محمد سعودي – مصر

نار الهوى في فؤادي منكِ تشتعلُ
وأنتِ قلبي وروحي أنتِ أوردتي

فلتجعليها سلامًا بردها يصلُ
وما سواكِ بعيني إنكِ المقلُ

بحر النساء يضل التائهين به
في داخلي العشق والتعبير يقتله

وبحركِ العذب يهديني فأكتملُ
فيض هو العشق كيف الغيض يحتملُ

يا جنتي الروح دوماً فيكِ عالقة
إليكِ شعري وأنفاسي أبث بها

وإنني لكِ ذاك العاشقُ الثملُ
روحي وعشقي بإصرارٍ لكِ القبلُ

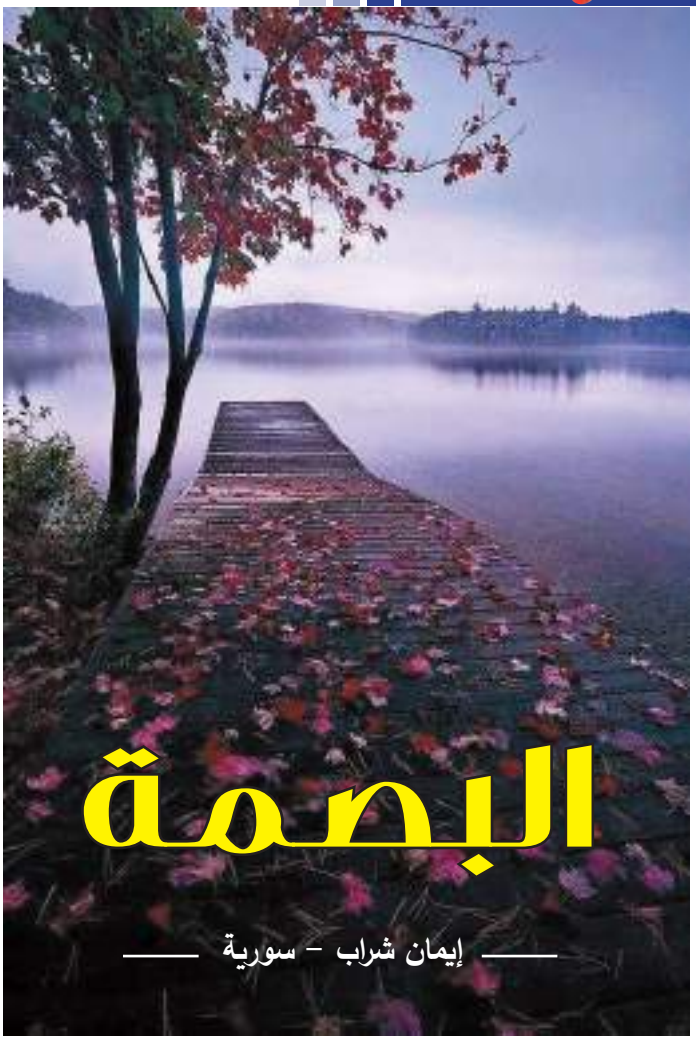

البصمة

إيمان شراب - سورية

في ذلك اليوم دخلت إلى مكتبي طالبة صغيرة تطلب شيئا، فأعطيتها الشيء، وقدمت لها قطعة من الحلوى، فابتسمت وخرجت بنشاط، ففهمت أنه أسعدها ما فعلت.

لقد تعلمتُ ذلك من مديرة سابقة اختارت لنفسها لقب المجاهدة لأنها اعتبرت أن المدرسة ثغر، والتربية جهاد. كنت وقتها في بدايات عملي، وأراها تضع دائماً الحلوى في مكتبها، وكلما دخلتْ إليها زائرة، موظفة كانت أم طالبة، قدمت إليها الحلوى.

عندما فعلتْ ذلك معي أول مرة فرحت كثيرا كطفلة صغيرة، وشعرت بالتقدير، وكم هي كريمة ولطيفة وحنونة..! لم أخطط يومها ولا بعده أني سأفعل مثلها إن قدر لي أن أكون مسؤولة، ثم وجدت أني أفعل مثلها.. لقد تركت بصمة جميلة في قلبي.

وحينًا أجدني أكرر جملة بنفس النص كما سمعتها في ذلك اليوم الذي لا أذكره، لكن الشخص الذي قالها حضر بقوة عندما حضر الموقف، فقلت جملته المؤثرة أهوّن بها على متألم، أو أساعد مصابًا، أو أساهم في حل مشكلة، أو أربي وأعلم أو... إنها البصمة والأثر.

أطلب من معلماتي ضرورة ربط الدرس بآية أو حديث أو كليهما، وأقول لهن: عليكن دور عظيم في أن يحب الطلاب والطالبات الانتماء إلى هذا الدين، وأن يعتزوا بذلك. وأتذكر أول من علمني ذلك: أمي المربية الأصيلة.

أدعو لأبنائي كل يوم قبل نومي، وأترضى عنهم واحدًا واحدًا بأسمائهم، كنت صغيرة جدًّا عندما سمعت جدي -رحمه الله- يفعل ذلك كل يوم قبل نومه.. لقد ترك أثراً رقيقًا حنونًا، كان صغيراً كعمري آنذاك، وكبر معي دون أن أخطط له أن يكبر.

يتعجب كثيرون من اهتمامي باللغة العربية ودعمها، وهي البعيدة عن دراستي، فأخبرهم بكل فخر أن صاحب البصمات والأثر هو أبي حفظه الله.

عندما يغضبني أحد الأبناء، أحاول النسيان بسرعة، وأطلب من الله له الهداية والرضى والنجاح والجنة.. إنها أخت حبيبة تعلمت منها ذلك، بارك الله بها أينما كانت.

كم من كافر أسلم لأن مسلمًا بصم على قلبه وعقله فترك أثرًا حلوًا عن المسلمين والإسلام!.

يؤثر فيَّ كثيراً من حفر بئرًا، أو علم قرآنًا، أو أوقف مدرسة وداراً، أو ألف كتابًا نافعًا، ما أجمل الأثر الذي يصنعه ويبقيه حتى بعد مماته!.

مازلنا حتى اليوم.. وإلى أن تقوم الساعة ندعو ونصلي ونستغفر، ونتصدق، ونبرّ الوالدين، ونصل الأرحام، ونطلب العلم والرزق، وننشر الخير؛ لأن رسولًا عظيمًا أثر في أمّة، وعلمنا أن المسلم في كل مكان وزمان عليه أن يترك بصمة وأثراً، بل أخبرنا أن المكافأة أجور متراكمة ومتسعة إلى أن تقوم الساعة.

ثم وجدت أن الذين يتركون أثراً جميلًا، يشتركون في كثير من الصفات التالية أو ربما كلها، فهم: يتمتعون بقربهم من الله، وإخلاصهم، وصبرهم، وقوة شخصيتهم، وسعة علمهم، وحبهم للناس والمساعدة والإحسان والمبادرة والنجاح، يجيدون التعلم من كل الناس، ومن كل المواقف، هممهم عالية راقية، وطموحهم لا نهاية له، الوقت عندهم قيمّ جدًّا، وهم أصحاب أهداف سامية متصلة بالجنة.

وكثير من الناس يبصم شراً، ويترك أثراً كذلك، يتركه سيئًا على نفسيات الناس وشخصياتهم وطباعهم، فتنعدم ثقتهم بذواتهم بسبب موقف حدث يومًا ما مع قريب حبيب، أو بعيد أو عدو، وتكون النتائج فشلًا وعدم نجاح، وقد تكون حقدًا وانتقامًا، وربما جريمة وجرائم.

قالوا: كن كغيث إذا أقبل استبشر به الناس، وإذا حَطَّ نفعهم. وإن رحل ظَلّ أثره فيهم■

رذاذ الحروف

خديجة أبي بكر ماء العينين – المغرب

دَعِ الحـرُوفَ تُعاقِرِ أنمُلاً سَكَبَتْ ... فَيضَ القريضِ ووادي عَبقَرَ السّاحِرْ

جِنُّ المَفـازاتِ إن أنشـدتُ قـافِيَـةً ... غَنّى وصَفَّقَ في الإخفاءِ والظاهِرْ

أمَّـا إذا دَغـدَغَ الإلهـامُ مَوهِبَتـي ... هَبَّ اليـرَاعُ ولبـّى حَرفِـيَ الثّائـرْ

دُنيـايَ غَـزْلُ حُـروفٍ لَسْتُ أنكُثُها ... خُيوطُها النّورُ جَلَّى الشّعرَ للشاعرْ

كَـم لَيلـةٍ بـاتَتِ الأشعـارُ مُؤنِسَـةً ... يُغازِلُ البَوحُ فيها الوالِـهَ الساهِرْ

رامَ اللـسانُ لِـذِكـرٍ واستـساغ لَـهُ ... وسامَرَ الطَّيفُ طَرفَ السّاهِدِ الفاتِرْ

لا يَشتكي سَـهَراً مِن شَوقِهِ دَنِـفٌ ... أمسى المُـلازِمَ للمَحبوبِ والذاكِرْ

البعد الحضاري للغة العربية(*)

إنَّ النظرة العامة لعيون المشتغلين بإحياء التراث اليوم يجب أن ترتكز على المخطوطات؛ إذ تَعُدّ الأوعية العلميّة للحضارة العربيّة الإسلاميّة عبر التاريخ التليد، بل وللحضارة الإنسانيّة عامة؛ لأنّ العرب جزءٌ من بنيان الحضارة العالميّة، لاسيّما في العصور الوسطى، التي كانت الحضارة العربيّة الإسلاميّة حينها نجم الحضارات، وكان المخطوط العربيّ بمنزلة القنديل الذي يضيئ أوروبا.

إنَّ التُّراث اللغويَّ حَمَلَهُ عُدُولُ العرب من كل خَلَفٍ، حتى روى ماء اللُّغة شجرة الدين، فاستقام ظلها وطاب قطافها على مرّ العصور، ولمَّا يَسَّرَ الله القرآن الكريم لانت اللُّغة العربية على لسان الأعاجم فحملها كذلك عُدُولُهُمْ، ولقد كانتَ العلوم العقليَّة والنَّقليَّة في الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة ذات روافدَ حضاريَّةٍ عتيقةٍ، لأممٍ سبقتها أو عاصرتها، وذلك من قبيل التأثير والتأثر بين الحضارات الإنسانيَّة، التي ما أغفل الإسلام فضلها، وما حارب الجانب المشرق منها، بل اعترف به، ونَهل منه، وأتمَّ صَنِيعَهُ.

وعند التَّأثُّر بين الحضارات نلمس في تراثنا ذلك التأثر، الذي أعملت فيه العروبة والإسلام يد الاقتباس، المشوبة بالتَّصحيح تارةً، والتَّطوير تارةً أخرى؛ بالتصحيح ليدخل المنتج الحضاريُّ القديم في لحمة الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، ويصطبغ بطابعها، وبالتَّطوير نتيجةً لما ابتكرتهُ الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة بعقول أبنائها، وما شيدته سواعدهم الفتية؛ ليقدم في النهاية منجز العرب المسلمين.

فالهويةُ عملةٌ ذاتُ وجهينِ، الوجه الأول: الدين، الوجه الثاني: اللغة، وهويتنا الثقافية ركناهَا الإسلام والعروبة، فالأول

د.أحمد تمَّام سليمان– مصر

(*) مجلة الرافد، عدد شوال، ١٤٣٨هـ، يوليو، ٢٠١٧م، الإمارات العربية المتحدة.

للديانة، والثاني للإبانة، فإن كان القرآن هو دستورها، فإنَّ العربيَّة هي لغتها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة إبراهيم:٤).

والحفاظ على الهوية يكون بالبحث عن الوحدة، فبالوحدة تكون الأمَّة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء:٩٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (سورة المؤمنون:٥٢)، ووفقًا لهذيْن الركنين يصير انتماؤنا إلى الأمتين الإسلاميَّة والعربيَّة، فإن كانت الأمة بمنزلة الهدف فإنَّ الوحدة بمنزلة الوسيلة، وبدون الوحدة تتمزق الأمة جِذَعَ مِذَعَ، ويتفرق أبناؤها شَذَرَ مَذَرَ، فليس بعد انشقاق الصف، وافتراق العصا؛ سوى أن تصير الأمة أثراً بعد عين!.

هنا تَكْمن الحاجة الماسة إلى إحياء تراثنا، والبحث عن تعزيز مقدراتنا الحضاريَّة، والنهوض بمقوماتنا الثقافية؛ لما لذلك كله من دور في بناء الشخصية، وتكوين الهوية، وتصحيح صورة العربيّ عامةً والمصريّ خاصةً، والتي شوهت على الصعيد العالميّ، فأصبح التطرف لصيقا بفكر العرب، وأصبح الإرهاب لصيقا بفعل العرب، بل إننا نجد الكثير من مؤسساتنا التعليمية تحل تدريس اللُّغات الأجنبية محل اللُّغة العربيَّة، مما يبت الصلة بين الناشئة والحرف العربيّ، كما وجدنا الكثير من الأعمال الدرامية من أفلام سينمائيَّة ومسلسلات تليفزيونية، تعرض مشاهد لمتطرّفين وإرهابيين يتحدثون باللُّغة العربيَّة الفصحى، وقد لا يكون المشهَد التمثيليُّ موظفًا في العمل الدراميّ، وليس من هدف وراء ذلك سوى أن تظهر عربيَّتنا الفصحى على لسان أُناس ينبذهم المجتمع لسوء فعالهم، حتى تُنْبَذَ العربيَّة الفصحى بعد ذلك.

إنَّ الحفاظ على تراثنا العربيّ بمقدراته ومقوماته ليس عملًا فرديًّا فحسب، وإنَّما هو عملٌ مؤسَّسيٌّ، يجب أن تضطلع به الحكومات والمؤسَّسات، بإحياء التُّراث العربيّ المخطوط؛ وذلك بتحقيقه تحقيقًا علميًّا في شتَّى فروع العلم، وتيسير نشره لتعُمَّ الإفادة منه، ومحاولة ترجمته إلى الغرب؛ لتحقق التَّرجمة أهدافها، والتي من أهمها التواصل بين الشُّعوب المختلفة والثَّقافات المتنوّعة، وتصحيح صورة العربيّ، الذي أصبح لا يشارك في الحضارة الإنسانيَّة إلا مستهلكًا، ثُمَّ محاولة النُّهوض العلميّ بالتَّأليف والابتكار والاختراع، القائم على تحقيق التُّراث من جانب التواصل مع الماضي الذي يُعادُ اكتشافه، والإفادة من المنجز الغربيّ في الحضارة الحديثة والتي أصبحنا بمعزلٍ عنها.

فلقد كان للمستشرقين فضل السَّبق في تحقيق التُّراث العربيّ ونشره، فمن جهودهم: نَشْرُ توماس إرينيوس (ت١٦٢٤م) كتاب "مجمع الأمثال" للميدانيّ، وَنَشْرُ يعقوب جوليوس (ت١٦٦٧م) كتاب "لاميَّة العجم" للطغرائيّ، ونشر إدوارد بكوك (ت١٦٩١م) كتاب "مختصر الدول" لابن العبريّ، وَنَشْرُ سلفستر دي ساسي (ت١٨٣٨م) كتاب "كليلة ودمنة" لعبدالله بن المقفع، وَنَشْرُ كترمير (ت١٨٥٢م) كتاب "الرَّوْضَتَيْن" لأبي شامة، وَنَشْرُ فلوجل (ت١٨٧٠م) كتاب "الفهرست" لابن النَّديم، وَنَشْرُ كوسان دي برسفال (ت١٨٧١م) كتاب "مقامات الحريريّ"، وَنَشْرُ فان فلوتن (ت١٩٠٣م) كتاب "البخلاء" للجاحظ، وَنَشْرُ دي خويه (ت١٩٠٩م) كتاب "تاريخ الطَّبري"، وَنَشْرُ لايل (ت١٩٢٠م) كتاب "شرح المفضَّليَّات" لابن الأنباريّ، وَنَشْرُ رودلف جاير (ت١٩٢٩م) "ديوان الأعشى"، وَنَشْرُ بيفان (ت١٩٣٤م) كتاب "نقائض جرير والفرزدق".

تلاهم جيلٌ من الرُّوَّادِ العرب الذين هاموا بالتراث عِشْقًا فأصبحوا سَدَنَةَ المخطوط العربيّ، كما امتدَّت أجيال المحققين من سائر الأقطار العربيَّة الذين عرفوا بالدقَّة والتَّثبُّت والإحاطة، وجاء على رأسهم: شيخ العروبة أحمد زكي باشا، وأحمد تيمور باشا، وعبدالسَّلام محمَّد هارون، ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم، والسيد أحمد صقر، وأحمد محمد شاكر، ومحمود محمَّد شاكر، ومحمد علي البجَّاويّ، ومحمد محيي الدِّين عبدالحميد، وناصر الدِّين الأسد، وسليمان دنيا، وحمد الجاسر، وإبراهيم شَبُّوح، وإحسان عبَّاس،

وعبدالهادي التَّازي، ومحمد بن شريفة، وراتب النَّفَّاخ، والطَّاهر أحمد مكّيّ، ومحمود علي مكّيّ، ومصطفى جواد، وعادل سليمان جمال، وعبدالفتَّاح الحلو، وحسين نصَّار، وصلاح الدّين المنجد، ورمضان عبد التَّوَّاب، وفؤاد سيّد، وأيمن فؤاد سيّد، والسَّعيد عبادة، وعصام الشَّنطيّ، ومحمود الطَّناحيّ.

تبقى الإشارة إلى المشروع القوميّ للتَّرجمة، بما قدَّمه ولايزال من المؤلَّفات العالميَّة إلى اللُّغة العربيَّة، ولكن يجب أن ينشط هذا المشروع في التَّرجمة من اللُّغة العربيَّة إلى اللُّغات الأخرى؛ لأننا بالتحقيق والتَّرجمة نقف وقوف الثَّابت في أرض الحضارة، فيستقيم ظلنا في أرض الواقع، علَّنا نُوَطِّئُ لفكرة الابتكار التي ربما تمس عقولنا ولو مَسًّا خفيفًا.

إنَّ من أراد أن يُقَدِّرَ حضارة أمَّة، فلينظر إلى فهارس مؤلَّفاتها؛ المخطوط منها والمطبوع، ويتلمس الموجود منها والمفقود، والمحقَّق منها والمترجم، ولاشكَّ أنَّ الفهارس التي حفظها الحرف العربيُّ في تراثها لا تبارَى، وتكفي مطالعة: "تاريخ الأدب العربيّ" لكارل بروكلمان، و"تاريخ التُّراث العربيّ" لفؤاد سزكين، و"معجم المطبوعات العربيَّة والمعربة" ليوسف إليان سركيس، و"معجم المخطوطات المطبوعة" لصلاح الدّين المنجد، و"الأعلام" لخير الدّين الزِّركليّ، و"معجم المؤلِّفين" لعمر رضا كحَّالة.

إذن فأيُّ تحرُّكٍ في اتّجاه إحياء التُّراث العربي الإسلامي، هو أعظم وسيلة تعيد تَلاحُمَ الأمَّة العربيَّة الإسلاميَّة، بجذورها الضاربة في عمق التَّاريخ، وعمليَّة الإحياء بمنزلة الرِّيّ لشجرة الحضارة الإنسانيَّة، التي مازال لها بذورٌ كامنةٌ في تراثنا العربيّ.

فإنَّ كيان الهويَّة العربيَّة يتهدد، مما يحتم علينا أن ننزعج، فنبحث تارةً أخرى عن الوسطيَّة الإسلاميَّة بوصفها قوامَ الهويَّة، واللُّغة العربيَّة بوصفها لسان الهويَّة، ونمُدَّ مساحة الجمال تارةً أخرى بعدما تآكلت مساحته في مجتمعنا المصريّ، فعلى المؤسَّسات كالأزهر الشَّريف، والمجمع اللُّغوي أن يقوم كل بدوره في الحفاظ على "الدين" و"اللُّغة" بوصفهما رافدي الهوية، ولكن.. في كل عام يعقد المجمَعُ اللُّغويُّ المصريُّ مؤتمرهُ العالميَّ، مثل: "اللُّغة العربيَّة

وتحديات العصر"، و"اللُّغة العربيَّة في التَّعليم"، و"اللُّغة العربيَّة في الإعلام"، ويقدم أبحاثًا ويناقش قضايا ويحل إشكاليَّات، والسُّؤال إذن: أين دور صانع القرار السِّياسيّ حتى يفعل تلك التَّوصيات ويقر هذه النَّتائج؟!

وقديمًا قامت مجلة الهلال باستفتاء، عنوانُهُ: "حضارتُنَا القادمةُ فرعونيَّةٌ أم عربيَّةٌ أم غربيَّةٌ؟"، وكانت مشاركة طه حسين تَشِي بأنَّ المزيج الحضاريَّ هو سِرُّ الرُّسوخ والتَّنوُّع، فأوصى بـ"أن نحتفظ من الحضارة المصريَّة القديمة بما يلائمُنا وهو الفنُّ، ومن الحضارة العربيَّة بالدين واللُّغة، وأن نأخذ من الحضارة الأوربيَّة كل ما نحتاج إليه، وليس في هذا شَرٌّ ما دمنا نحتفظ بشخصيتنا المصرية، فلا تفسد علينا هذه الحضارة الأوربيَّة حياتنا، على أننا أمَّةٌ لها موماتها الخاصة"، (عدد أبريل ١٩٣١م، ص ٨٢١).

وصدر قرار الأمم المتحدة رقم (ثلاثة آلاف ومئة وتسعين)، في الجلسة العامَّة رقم (ألفيْنِ ومئتيْنِ وستَّةٍ)، والمنعقدة في (الثامن عشر) من شهر ديسمبر سنة (ألف وتسع مئة وثلاث وسبعين) ميلاديَّةً، بإدراج اللُّغة العربيَّة ضمن اللُّغات الرسميَّة ولغات العمل المقرَّرة في الجمعيَّة العامَّة ولجانها الرئيسة، ونصُّهُ: "إنَّ الجمعيَّةَ العامَّةَ إذْ تدركُ مَا للُّغة العربيَّة من دورٍ هام في حفظ وَنَشْر حضارة الإنسان وثقافته، وإذْ تدركُ أيضًا أنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ هي لغةُ تسعةَ عشرَ عضوًا من أعضاءِ الأمم المتَّحدة، وهيَ لغةُ عملٍ مقرَّرةٌ في وكالات متخصصة، مثل: منظَّمة الأمم المتحدة للتَّربية والعلوم والثَّقافة، ومنظَّمة الأمم المتَّحدة للأغذية والزراعة، ومنظَّمة الصحة العالميَّة، ومنظَّمة العمل الدَّوليَّة، وهي كذلك لغة رسمية ولغة عمل في منظَّمة الوحدة الأفريقيَّة، وَإذْ تدركُ ضرورةَ تحقيق تعاون دولي أوسع نطاقًا، وتعزيزِ الوئام في أعمالِ الأمم وفقا لما ورد في ميثاق الأمم المتَّحدة، وإذْ تلاحظ مع التقدير مَا قدمته الدول العربيَّة الأعضاء من تأكيداتٍ بأنَّها ستغطي –بصورة جماعيَّةٍ– النَّفقاتِ النَّاجمة عن تطبيق هذا القرار خلال السنوات الثلاث الأولى، تقرر إدخال اللُّغة العربيَّة ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل المقررة في الجمعيَّة العامة ولجانها الرئيسيةِ، والقيام بناء عليه بتعديل النظام الداخليّ للجمعية العامة المتصلة بالموضوع"، وبعد هذا القرار صار يوم الثامن عشر من ديسمبر كل عام يومًا عالميًّا للُّغة العربيَّة.

ولكن بعد مرور زهاء نصف قرنٍ على هذا المكتسب الحضاريّ، فإنَّ اللُّغة العربيَّة تعاني مأزقًا حضاريًّا، يجب أن نتنبَّه له وننبِّه إليه، بل وندقَّ ناقوس الخطر، فلم تخرج العربيَّة من أحد مواطنها في الماضي فحسب، كما هي الحال في الأندلس، بعدما تربعت على عرش مجالسها العلميَّة والسياسيَّة ثمانية قرونٍ، بل إنَّ العربيَّة في تاريخنا الحديث والمعاصر تلقَّت من الهزائم النَّكراء والطَّعنات النَّجلاء الواحدة تلو الأخرى، والمأساة لم تكتمل فصولًا؛ فقد خرجت العربيَّة من إيران وحلَّ محلَّها اللسان الفارسيُّ، وخرجت من تركيا وحلَّ محلَّها اللِّسان التركي، كما خرجت من جنوب السُّودان وبعض أقاليم العراق، ومن قبل نجحت بعض الدَّعوات باستبدال الخطِّ اللَّاتينيّ بالخطِّ العربيّ الذي كانت تكتب به بعض اللُّغات الإسلاميَّة.

وفي الوقت الرَّاهن ساعدت عوامل متعددة على كتابة كثير من الشَّباب العربيَّةَ بالحرف اللَّاتينيّ أو ما يعرف بـ"فرانكوأراب"، مثل: العالم الافتراضي على الشبكة العنكبوتيَّة الدولية "إنترنت"، والصفحات الشخصية "فيسبوك"، والتغريدات "تويتر"، والرسائل التليفونية "واتساب"... وغيرها، فيما يعَد تعديًا لغويًّا ضدَّ لسان هويَّتهم، وكأنَّهم استجابوا لدعواتٍ مغرضةٍ،

حسبنا أَحداث الماضي قد وارتها وأخفى الثرى معالمها، وأخشى أن أقول: البقيَّة تأتي! فقد تزعزعت العربيَّة وكاد ركنها أن ينهدم في غير إقليم عربيّ إسلاميّ؛ بسبب ضعف الانتماء العربيّ، وسيطرة المد الغربيّ، وتراجع منظومة التَّعليم، وخفوت جذوة الإبداع.. وغيرها، داخل بيئات العربيَّة في مقابل الانبهار بالحضارة المعاصرة، التي صرنا سوقًا لترويج منْتجها، بما في ذلك الثَّقافات ولغاتها.

إنَّ الحراكَ السياسيَّ الهادر يدفعنا إلى أن نضع أهدافًا لتأخذ سبيلها نحو التحقق، فلابدَّ أن يكون العلم هدفًا إستراتيجيًّا لبناء الوطن، والنَّظر إلى الثَّقافة بوصفها وزارةً سياديَّةً، فمجتمع جاهل من شأنه أن يحول الثَّورة إلى فوضى، ومجتمع نصفه أُمّيون كفيل بأن ينقض ما يبنيه المتعلّمون، ولن يبلغ بنيان الوطن يومًا تمامه مادامت يدٌ تبني وأخرى تهدم في الوقت ذاته، ومن العلم والثَّقافة نستدعي التَّاريخ، ونستلهم التُّراث، ونفقه الواقع، ونستشرف المستقبل، ونقبل الآخر.

فإنَّ المثقَّف الحقيقي -والحقيقي هنا أعني به المنتمي- هو الذي يتخذ من عمق التَّاريخ أداةً لاستشراف المستقبل، وليس المثقَّف عَرَّافًا تنظر نُبُوءَتُهُ، ولكنَّه مُشيد لصروح المستقبل ممَّا استجاده من لبنات الماضي، وتبدو الرُّؤية الثَّقافيَّة أشد تكاملًا وأعمق أَثَرًا إذا كان المثقَّف يضرب بسهم إلى الإبداع عامّةً والأدب خاصَّةً، فالأديب أَرْهَفُ حسًّا وأنفذ فكرًا، وبالتَّالي أمضى رأيًا.

ولمَّا كان الأديب يعبر بالأسلوب الذي يبهر المتلقي حتى يستشعر معه العجز، فقد نظر إلى الأدب كتجلياتٍ للثَّقافة التي تبني الأمَّة، ويهدر النص الأدبي بعرائس الآمال وأشباح الآلام، فيستشعر كل متلق على حدة أنَّه ممثل في النص الأدبي بشكل ما، أو من زاوية ما، أو بطريقة ما، وكم التقطت عين الأديب أنماطًا من البشر بين تليدٍ وطارف، وسجلتها ذاكرته فغدا النَّصُّ الأدبيّ وثيقةً تاريخيَّةً للأمة! وكم خلبت آدابٌ بشراً فغيرت مصائرهم لما استوقفت بصائرهم! لذا فإنَّ من يبحث عن أركان الهوية بمقوّمَاتها ومعوقاتها، فلابدَّ أن يتوقف عند تجلياتها في الأدب.

فالانحراف الفكريُّ البادي في التطرف، والتعدي الفعلي البادي في الإرهاب، علاجهما الناجع في الثَّقافة، فالنهل من العلوم الإنسانيَّة يقيم ما اعوج من فكرٍ، ويصلح ما اضطرب من فعلٍ، فباللُّغة يُستجلى منطق العقل، ويُستحلى منطق اللسان، وبالفلسفة تعمق الأفكار، وبالأدب تَرِقُّ المشاعر ■

جواز سفر

محمود مفلح – فلسطين

هذه القصيدة تعكس معاناة حقيقية لي ولكل حاملي الوثائق من أمثالي

حلمت كثيراً في جواز مرور
وألحق أهلًا قد تولوا وصحبة
وأسجد مثل الساجدين لربهم
أرى الناس رأي العين في الجو حلقوا
فلا أحد يلقي عليهم شباكه
لماذا أنا دون الخلائق كلها
لماذا ينام الناس فوق حريرهم
ويضرب دوني ألف سد وساتر
كأني لم أولد على أرض (يعرب)
ولا سحنتي سمراء مثل وجوهكم
ولا كنت يومًا ذائدًا عن حياضكم
ولا كعبتي الزهراء كعبة أمتي
وأسأل من كانت لديه بقية
لماذا لماذا تحبسون قوافلي
وأبقى وحيدًا خارج السرب خائراً

ليسهل في هذا الزمان عبوري
وأشرب من نبع هناك نمير
على تربة مثل العقيق طهور
إلى حيث شاؤوا مثل سرب طيور
ويزجرهم في قوة وغرور
يُشَد وثاقي بل يُغَل مسيري
ونومي على شوك الأذى وحصير
ويعقر من دون الأنام بعيري
ولا غلغلت في ذا التراب جذوري
ولا لغتي موصولة (بجرير)
ولاكان لي بين الحضور حضوري
ولا كان من قبل النفير نفيري
من الماء في وجه وخيط ضمير
ومن دون عذر تقلبون قدوري!؟
يكاد شهيقي لا يطيق زفيري

الشيك المنتظر

راحت عيناه ترتفعان، ثم تهبطان، تتجهان يمنة ويسرة، تحتضنان في حب وحنان، كتبه المتراصة بكثرة، فوق أرفف مكتبته، التي غطت جدران حجرته عن أكملها، همس في تمنٍّ:

– آه.. لو أمكن لي أن تدفن معي هذه الكتب، وكل ما كتبته من قصص قصيرة، وروايات..

هذه الكتب التي صاحبته في مراحل عمره المختلفة، بدءاً مما تركه له أبوه من كتب في التراث، تكاد تعد على أصابع اليدين، فراح يلتهمها جميعاً، ومن ثم راح يبحث عن غيرها حتى تكونت هذه المكتبة الضخمة الزاخرة، العامرة بأمهات الكتب، وحتى صار فيما بينهما صداقة قوية.

مد يده إلى علب البرشام الجالسة بعضها فوق بعض، مختلفة الألوان والأنواع، راح يفتح العلبة تلو الأخرى، يخرج أقراص دوائه الذي يتجرعه ثلاث مرات يومياً، وضع كوب الماء جانباً، وراح يحدق في علب الأدوية،

محمود أحمد علي – مصر

تخرج من بينها كلمات طبيبه التحذيرية، في آخر زيارة له: (أرجوك أن تبتعد عن كل ما يثير غضبك، ويجدد أحزانك، أرجوك حب ذاتك، فتلك جديرة بأن تحب، حب، وتزوج لتنجب من يحمل اسمك، ويشاركك في حمل حزنك).

لحظتها تنحى جانباً، بعدما اكتسى وجهه بأحزان العالم بأسره، ثم همس بصوت شبه مسموع: (كيف أستريح، والوطن العربي بأسره أسير القرارات الأمريكسرائيلية، فأنا جندي مجهول، أحارب بقلمي قدر المستطاع، ثم كيف أتزوج بامرأة تشاركني حبي للكتاب؟! والأدب، والإبداع، لقد أحببت الأدب، وتزوجت الأدب).

غاضباً صرخ الطبيب في وجهه، محذرا إياه: (حرام عليك، أنت لست بدولة، أنت فرد من أفراد هذا الشعب، ومن حقك أن تضحك، وتخرج لتشاهد أحدث الأفلام السينمائية، وتجالس أصدقاءك لتتبادلوا آخر النكات، لقد جئت لي أول مرة، وبالكشف عليك اكتشفت أنك مصاب بالسكر، ولأنك لم تنجح في طرد الحزن المتغلغل بداخلك، أصبت بالضغط، ولأنك لم تستطع طرد الهم العربي من فكرك ومن كتاباتك، أصبت بفيروس سي، هذا ما جنيته من الهم).

– آه..

قالها المؤلف، وهو يهب واقفاً من مكانه متجهاً صوب مكتبه ضارباً بكل التحذيرات عرض الحائط، وقبل أن يجلس، رن جرس تليفون المنزل، أسرع إليه:

– نعم..

يأتيه الصوت: منزل الكاتب الكبير الأستاذ...

– نعم.. أنا.

– لو سمحت، وتكرمت، وتعطفت علينا، بزيارتك الكريمة في اتحاد الكتاب لبضع دقائق، بضع دقائق فقط، حتى تستلم الشيك الخاص بسيادتك..

تهلل وجه المؤلف بابتسامة عريضة، ثم راح يقول:

– على الرحب والسعة.. أشكرك.

وضع السماعة مكانها.. الابتسامة العريضة لم تفارق وجهه، جلس يفكر في أمر هذا الشيك المنتظر، بعدما أقنعه أصدقاؤه أخيراً أن يقوموا بتصوير روشتاته وأشعاته، وكل التقارير الطبية التي تثبت صحة مرضه، لتقديمها إلى اتحاد الكتاب، الذي هو عضو فيه منذ إنشائه، لصرف معونة عاجلة له، ورغم أنه كان يرفض ذلك في كل المرات السابقة، بعد شعوره أنه متسول، ولكن أصدقاؤه نجحوا في إقناعة: (هذا حقك الشرعي).

ورد آخر: (ثم إن حاكم الشارقة تبرع بعشرين مليون جنيه لعلاج الكتاب).

***

– هنا يا أسطى.. قالها المؤلف لسائق التاكسي، نزل، وقف أمام المبنى، راح يتأمله طويلاً متذكراً آخر مرة دخل فيها مبنى الاتحاد، قبل أن يهده المرض، رغم أنه يحافظ على انتمائه له، من خلال تجديد البطاقة كل عام، بمساعدة أحد الأصدقاء.. جاهداً حاول أن يدخل جسده النحيل الممصوص كعود القصب من بوابة الاتحاد الصغيرة، التي ابتلعتها هذه العربة الفارهة.

راح يصعد السلم، وهو ينظف ملابسه، بعدما نجح في الدخول، راحت عيناه تتحركان في سعادة يمنة ويسرة، في آلية منتظمة، وهو يشاهد ما استحدث في المبنى من إضافة حتى وجد نفسه يقف أمام إحدى الحجرات، المكتوب على جانبها الأيمن (السكرتارية).. مبتسماً دلف داخلها:

– السلام عليكم..

– وعليكم السلام..

– جئت لتسلم شيك..

– ما نوع الشيك..؟!

هربت الابتسامة من وجهه، عقدت الدهشة لسانه..

أعاد عليه الموظف السؤال مرة ثانية..

قال في ألم بصوت هامس، وعيناه المنكسرتان تجوبان في أرجاء المكان:

– إعانة مرضية..

سأله الموظف عن اسمه وهو يفتح درج مكتبه، راحت أصابع الموظف تعبث داخل الشيكات، الكثيرة المكدسة بعضها فوق بعض، ثم تبسم في وجهه، وراح يقول:

– تمام.. تمام.. الشيك موجود بحمد الله..

فتح الموظف دفتراً كبيراً، قابعاً أمامه، وطلب من المؤلف أن يوقع، مد المؤلف أصابعه المرتعشة، وراح يوقع على التسليم، غمرته فرحة كبيرة، عندما وقع بصره على قيمة الشيك المكتوبة بالأرقام، حبيسة القوسين (٩٧٧٥)..

أعطاه الموظف ظرفاً صغيراً ناصع البياض، مغلقاً مكتوباً عليه من الخارج اسم المؤلف، ثم أخبره بالذهاب إلى أي فرع لـ(بنك مصر) لصرف الشيك.

وقف المؤلف سعيداً ينتظر قدوم التاكسي، توقف التاكسي، فتح الباب، وقبل أن يركب المؤلف، التفت إلى لافتة اتحاد كتاب مصر، وراح يحدث نفسه في سعادة:

– تعيشي يا مصر!، ويعيش اتحادك الذي يقدر الأدباء..

انطلق التاكسي.. (طير بينا يا قلبي، ومتقوليش السكة منين، دا حبيبي معايا ومتسألنيش رايحين على فين).

سعيداً.. وجد المؤلف نفسه يردد كلمات الأغنية الخارجة من كاست التاكسي..

***

وقف المؤلف في الطابور الطويل، الذي راح يتناقص في بطء شديد، منتظراً في لهفة الوقوف أمام صراف البنك.

تعجب الواقفون بجوار المؤلف، وهم يرونه يحدق تارة في الشيك النائم بين يديه كطفل رضيع، ذلك الشيك الذي يرفض فتحه إلا بيد الصراف، وتارة أخرى يحدث نفسه بصوت مهموس لا تسمعه إلا ذاته المنهكة:

– أحمدك يا رب على هذا المبلغ الذي قارب عشرة آلاف جنيه، سوف أغلق أفواهاً كثيرة، منها ستة شهور إيجار متأخر، فلوس البقال، الذي هددني بعدم التعامل معي إذا لم أسدد دَيني، شراء أدوية كثيرة تكفيني لشهور كثيرة قادمة، ودفع قيمة ثلاث فواتير للكهرباء، وخمس فواتير للمياه، و...

– نعم يا أستاذ!..

قالها الصراف؛ ليخرجه من دوامة فكره..

مبتسماً مد إليه يده بالشيك الملتصق بأصابعه، المصحوب ببطاقته، فجأة وجد المؤلف أصابعه تأكله بشدة، فراح يقبلها ثم يفركها في بعضها بعض، وهو يردد في همس:

– يا مسهل يا كريم يا رب!..

– وقع هنا..

أخرج المؤلف قلمه الذي لم يفارقه لحظة واحدة، وراح يكتب اسمه، فوق ظهر الشيك النائم على وجهه فوق الرخامة..

– تفضل..

مد الصراف يده بالفلوس نحو المؤلف، وراح يعدها عليه في صوت مسموع:

– خذ خمسين جنيهاً، عشرين، وأيضاً عشرين، ثم جنيهين وخمسة وسبعين قرشاً، ليصبح المجموع اثنين وتسعين جنيهاً وخمسة وسبعين قرشاً، قيمة الشيك المنصرف.

سريعاً هربت الابتسامة من وجه المؤلف، وجلس متربعاً في حزن وحيرة شديدين، مما دفعه ليقول مستفسراً:

– ما هذا..؟!

متعجباً راح الصراف يجيبه:

– قيمة الشيك المنصرف، بعد خصم خمسة جنيهات من قيمة الشيك تبرعاً منك لمعونة الشتاء..

في حدة قال المؤلف:

– لا.. حضرتك تقصد تسعة آلاف وسبعمئة وخمسة وسبعين جنيهاً، هي قيمة الشيك..

– تبسم الصراف، ابتسامة لا لون لها ولا طعم، ثم قال:

– ربما لم تر حضرتك العلامة العشرية، التي وراء السبعة والتسعين جنيهاً..

ثم مد إليه الشيك كي يطلع على العلامة العشرية..

راح المؤلف يحدق طويلاً، طويلاً، طويلاً، في العلامة العشرية التي أنسته فرحته رؤيتها، تبسم في وجه الصراف، وقال له وهو يغادر الصف:

– أنا آسف..

راح المؤلف يخطو خطوات بطيئة متثاقلة، وهو لم يرفع عينيه عن قيمة المبلغ المنصرف، توقف برهة عندما وجد قدميه لا تقويان على حمله، راح يفكر، ويفكر، ويفكر في قيمة الشيك الذي انتظره طويلاً كليلة القدر، همس وهو يجفف عرقه الذي لم يتوقف لحظة واحدة منذ أن طلب منه الصراف النظر في العلامة العشرية:

– كيف هذا..؟! هل أنستني فرحتي رؤية العلامة العشرية، وأنا أوقع لموظف الاتحاد..؟! أو السبب الحقيقي يكمن في المرض اللعين الذي أكل ما تبقى من رؤيتي، هاء.. هاء.. هاء.. سبعة وتسعون جنيهاً وخمسة وسبعون قرشاً، في حين أني أخرجت من جيبي، عشرين جنيهاً لاتحاد كتاب مصر رسوم فحص التقارير الطبية، وعشرين جنيهاً لموظف الاتحاد لقيامه مشكوراً بالاتصال بي، وأربعين جنيهاً قيمة ركوب التاكسي إلى الاتحاد ومنه إلى البنك، وسوف أشتري بطاقة شحن للموبايل، فئة عشرة جنيهات، حتى يتسنى لي شكر مجلس إدارة الاتحاد، على ما بذلوه من اجتماعات وإمضاءات، حتى خرج الشيك إلى النور، إذن لم يتبق من قيمة الشيك غير خمسة وسبعين قرشاً بالتمام والكمال..

– لله يا بني.. ربنا يقويك على ما أنت فيه..

نظر المؤلف إلى المتسول الواقف أمام البنك، وراح يحدق فيه طويلاً، طويلاً، طويلاً، تعجب المؤلف عندما رأى وجه التشابه الكبير فيما بينه، وبين هذا المتسول! الاختلاف الوحيد فقط هو فيما يرتديه كل منهما.

– لله يا بني.. ربنا يقويك على ما أنت فيه..

مد المؤلف أصابعه المرتعشة نحو يد المتسول الممتدة أمامه طول ذراع؛ ليضع في كفه الخمسة والسبعين قرشاً الباقية من قيمة الشيك المنتظر!■

الاقتباس القرآني

في رواية نردين أبو نبعة

«قد شغفها حبًّا»

خليل محمود الصمادي – الرياض

الاقتباس المباشر هو النقل الحرفي من المصدر، ويكون من خلال استعمال علامتي التنصيص يضعها الكاتب خلال اقتباسه، ولا بد أن يشير في الهامش إلى المصدر الذي اقتبس منه.

أما الاقتباس القرآني فهو أخذ كلمات أو عبارات قرآنية مع التغيير فيها دون خروجها عن السياق المفهوم للآية الكريمة، أو تضمين النص شيئًا من القرآن الكريم لا على أنه منه، ويجوز أن يُغيِّر في الأثر المقتبس قليلاً على أن يفهم القارئ أن الأصل آية قرآنية أو جزء منها.

وقد عرف الاقتباس قديما، وشاع في الشعر والنثر، وقد أباح العلماء الاقتباس ولا سيما في النثر إن كان لغرض نبيل وصحيح.

ورواية «قد شغفها حبًّا»؛ رواية إنسانية جمعت بين وداد وهيام، وهما زوجتان لمقاومين فلسطينيين من رموز المقاومة وقادتها؛ أحدهما الشهيد يحيى عياش الذي دوخ العدو الصهيوني في بداية الانتفاضة الأولى.

وتأتي الرواية في ذكريات خطتها زوجتا شهيدين، صورتا فيهما همجية المحتل الذي أذاق الناس البأس والهوان خلال الانتفاضة الأولى، وفي الوقت نفسه مقارعة هذا المحتل عن طريق أبطال المقاومة. وقد حفلت الرواية بعدد من الفنون النثرية أهمها الاقتباس القرآني.

والاقتباس في هذه الرواية يبدأ من العنوان «قد شغفها حبًّا» الذي يشير إلى قصة امرأة العزيز ويوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف:٣٠)، فامرأة العزيز قد شُغفت حبًّا بالنبي يوسف عليه السلام كما رددت نسوة في المدينة.

والفصل الأول من الرواية جاء تحت عنوان

«وداد، يوسف الصديق»، واستهلته الكاتبة بقولها: قد شغفني حبا.. غير أني لم أراود يوسف، لم أقدَّ قميصه من دبر، لم أعط صويحباتي سكينا، وأقُلْ ليوسفي: اخْـرُجْ عليهن!»؛ فمن الواضح أننا من خلال هذا الاقتباس القرآني الكريم نتهيأ للوقوف أمام رواية لامرأة عشقت يوسفها، ولكن ليس عشقا كما عرفته امرأة العزيز؛ صحيح أنهما تشتركان في شغف يوسف، ولكن شغف وداد بطلة القصة من العشق المباح لذا تجدها بعد عدة أسطر تقول: «أنا ويوسف نطوف حول كعبة العشق.. نسعى بين الصفا والمودة..»، ولا شك في أن هذه التراكيب بالإضافة إلى اقتباسها من القرآن الكريم تعطينا شفافية وروحانية في عشق البطل الذي نذر نفسه فداء لفلسطين والجهاد.

وأخيراً صارت وداد زوجة لحبيبها يوسف، فهناك من «استرق السمع» عندما قالت أمها أمام جمع من الناس خلال إعجابها بهذا البطل: والله لو يطلب بنتًا من بناتي لأعطينَّه. فقد عزم يوسف على خطبتها والزواج منها لما عرف عن خصائل هذه العائلة التي ربت أولادها على التدين، وحب فلسطين والمقاومة.

وتتابع وداد سيرتها مع حبيبها المقاوم يوسف، وتقول في فصل «سدرة الحب»: رسوت على شاطئه، وأحرقت سفني، ورميت نفسي في بحره الذي يصنع الأمواج، عندما رأيته قلت: «جاء الحب وزهق الحزن، إن الحزن كان زهوقا»؛ ولا شك في أن القارئ يدرك تماما أن الكاتبة اقتبست ذلك من قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء ٨١). ففي اقتباسها هذا تصوير لحالتها النفسية التي خرجت من الحزن إلى الفرح، الحزن الذي نشره المحتل في كل البلاد. وأما الحب فهو يوسف الذي صار زوجها، والذي يمثل رمز المقاومة، وهو تشبيه موفق، إذ شبه المحتل بالحزن، والمقاومة بالفرح. وأي فرح هذا الذي يكون يوسف رأس حربته!؟.

وفي الصفحة التالية من الفصل نفسه يقول يوسف لحبيبته وداد: «يا وداد! عندي أمل بأن يسجد سحرة قومي.. لذلك لا بد أن ألقي عصاي، وعندي يقين بأن لي قدرة على شق بحر الوهن حتى يعبر شعبنا بسلام».

ولا شك في أن هذا القول هو اقتباس من قصة موسى وفرعون كما صورها القرآن الكريم في أكثر من موضع، ولكن الكاتبة وظفته في غاية الدقة ليعطي القارئ فصلا مختصرا عن الحالة الفلسطينية يومئذ، فيوسف يعرف المشكلة والحل، فالمشكلة ليست في المحتل وحده، بل في أعوانه أيضا؛ أي سحرة قومي الذين رموا شباكهم مع المحتل، وظنوا عن حسن نية أو سوئها أنهم يحسنون صنعا، فأضحوا متعاونين ومخبرين ومنسقين أمنيين يسحرون الناس بخطاباتهم النارية الفارغة.

وأما الحل عند يوسف فهي العصا، أي القوة والمقاومة. واليقين هو النصر على العدو كما انتصر موسى على فرعون وجنوده.

وتتابع نردين روايتها، وتصف حرب (٢٠٠٨م) على غزة، وتصور العدوان الوحشي هناك، وتصف حالة الذعر والخوف الذي انتاب الأطفال والنساء والشيوخ، تقول على لسان وداد: «أرى الناس سكارى وما هم بسكارى، هذا المشهد ليس غريبا عليَّ.. قرأت عنه قبل ذلك، إنه يوم القيامة»، وجاء هذا التصوير في سورة الحج: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الآية٢).

ولعل نردين مولعة بقصة سيدنا يوسف، ففي فصل القمصان الستة، وهو تصوير العدوان الصهيوني الثاني على غزة؛ تصف امرأة غزاوية فقدت صغارها الستة بقذيفة لئيمة: «تطاير أطفالها أمام عينيها.. رأت أحدهم والصاروخ يقسم جسده إلى قسمين ليصبح فُتاتًا كحبات القمح على أرض تحترق! فأي اعتذار يليق بامرأة ابيضت عيناها من الحزن!؟». وتتابع سيرة الأم المكلومة، والتي أصيبت بحالة نفسية، فصارت كل يوم تنشر قمصان أولادها الستة على حبل قبالة البحر فتقول عنها: «كيف استطاعت أن تنزع القمصان من جُبِّ يوسف وتنشرها على الملأ؟ كانت أمًا.. ولم تصدق رواية الذئب!! بل صدقت إحساس أمومتها بأنهم أحياء عند ربهم..».

وفي منتصف الرواية خلال تصويرها للشهيد يحيى تقول: «وعندما ضاقت الأرض على يحيى توجه إلى غزة، والتقى بيوسف وصارا يعملان معا...»، فعبارة ضاقت الأرض؛ مقتبسة من سورة التوبة بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (الآية١١٨).

وفي تصويرها لولادة وداد تكثف نردين استعاراتها القرآنية في أكثر من موضع:

• «كل فلسطينية هي هاجر، وستلد في واد غير ذي زرع..، ولكن زمزم ستنفجر تحت أقدامها».

• «عندما أجاءني المخاض إلى جذع المقصلة، قالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا».

• «وبإصرار تحدى ظلمة الرحم، فناداني من تحتي: ألا تخافي وتحزني إنا رادوه إليك».

ولا شك في أن القارئ سرعان ما يكتشف الآيات القرآنية التي تقصدها الكاتبة، فخير الكلام كلام الله، وغرض الاقتباس مفهوم معلوم يزيد النص رونقا وجمالا.

وكثيرة هي الاقتباسات القرآنية التي امتلأت بها رواية «قد شغفها حبًّا»، ونكتفي بهذه الاستدلالات. واللافت للنظر أن توظيف الكاتبة لهذا الاقتباس جاء في محله تماما، فهو يعبر عن مواضيع كبيرة، وأغلبها معروفة للقراء لأن معظم استدلالاتها مأخوذ من قصص قرآنية كقصة يوسف عليه السلام، وقصة موسى وفرعون، وقصة مريم عليها السلام.

وأما الغرض من الاقتباس القرآني عند نردين فهو تجميل المعنى، فكأنه بذلك يكتسب صِدْقية ما يقول، ثم لتنبيه المتلقي إلى المنبع الذي تستمد منها الكاتبة ثقافتها؛ ألا وهي ثقافة الأمة الوسطية التي تتخذ من القرآن الكريم منهجًا، وهذا الأسلوب يقوي النص، ويجعله يتداخل مع النص القرآني الشبيه، بل يحببه بجمال الصياغة من خلال تشرب النص بالأصداء القرآنية■

متى يصحو الرَّبيع بنا

مصطفى عكرمة – سورية

صحا الرَّبيعُ فصحَّى كلَّ وسنانِ ... فما ترى غيرَ مفتونٍ، وفتَّانِ
فيا لها فتنةً تَهدي العقولَ إلى ... من أبدعَ الكونَ في لطفٍ، وإتقانِ
النَّاسُ تُفتنُ فيما لا اهتداءَ به ... وفتنةُ الحُسنِ مدعاةٌ لإيمانِ
صاغَ الرَّبيعُ بسحرِ الحُسنِ روعتها ... فالأمسُ واليومُ مما كانَ ضدَّانِ
صحا الرَّبيعُ فما تدري بأيِّ فمٍ ... تحكي عجائبَ هذا الهادمِ الباني
قسا الشتاءُ، وتابَتْ منه قسوتُهُ ... كأنَّما هي منه توبةُ الجاني
فالزَّهرُ والعطرُ والأطيارُ صادحةٌ ... عن قدرةِ اللهِ فيها ألفُ تبيانِ
زهرٌ ترى العينُ منه ما تُسرُّ به ... فالكونُ مؤتلِقُ الأرجاءِ نوراني
وكلُّ زهرٍ بدا من حسنِهِ عجباً ... بـه تـفـرَّدَ عـن نـِـدٍّ، وأقـرانِ
أُنسًا، وعِطراً، وألواناً يبوحُ بها ... سحرُ البياضِ،ووهجُ الأحمرِ القاني
لَكلُّ حُسنٍ بما يوحيه ألسنةٌ ... وكلُّ صوتٍ له في القلبِ أُذْنانِ
هيهاتَ للشعرِ أن يدنو لروعتها ... ولا لخيالٍ، فهذا الحُسنُ ربَّاني
فلن ترى مثلَها في كلِّ ما رسمتْ ... وأبدعَتهُ الأيادي عبرَ أزمانِ
ولا ترى غيرَ ما تُهدى ببهجتِهِ ... فكلُّ حسنٍ به للسحرِ زوجانِ
وما تشمُّ لها من منعشاتِ شذىً ... فيها انتعاشةُ أرواحٍ وأبدانِ
يمضي بكَ الحُسنُ مُنقاداً بلا هدفٍ ... سوى جواذبَ إسرارٍ وإعلانِ
فالعقلُ في العينِ أمسى وهيَ ساهمةٌ ... يسوقُها سحرُ أشكالٍ وألوانِ
والطَّيرُ تمرحُ في الأجواءِ سابحةً ... تعلو وتهبطُ لا تخشى يدَ الجاني
فالنَّاسُ في شغلٍ عنها بروعتها ... وما تُهاديه من زهوٍ وألحانِ
تباركتْ قُدرةُ الخلَّاقِ أبدعها ... فألهمتْ بسناها كلَّ فنَّانِ
وجلَّ مقتدراً أهدى بقدرته ... بعد الشِّتاءِ ربيعاً جدَّ فتَّانِ
وألفُ سبحانَ من كانت بحكمته ... آلاءُ حسنٍ تُصحّي كلَّ وجدانِ
بلحظةٍ تحسبُ الدُّنيا إليكَ هفَتْ ... وأنتَ تلبسُ فيها تاجَ سُلطانِ

***

صحا الرَّبيعُ فصحَّى كلَّ وسنانِ ... ولَمْ نزلْ بين منسيٍّ ووسنانِ
فيا إلهي متى يصحو الرَّبيعُ بنا ... فلا نبيتُ على ذلٍّ وطغيانِ
صحا الربيعُ فعاشَ النَّاسُ بهجتَه ... كأنَّ إيحاءَهُ آياتُ قرآنِ
متى إلهي سيصحو من غفوْا زمناً ... فامْنُنْ بصحوتِهمْ يا خيرَ منَّانِ!
فيرجعُ الكونُ بالإسلامِ مُبتهجاً ... الحسنُ مُقترنٌ فيه بإحسانِ
وما سِواهُ ربيعٌ في ضمائرنا ... فهو النَّجاةُ لنا من كلِّ خُسرانِ

سماح

د. منى محمد العمد - الأردن

كانت متوترة هذا الصباح، فلديها موعد في المحكمة اليوم، إنها المرة الأولى التي تدخل مكانا كهذا، أوقفوها عند الباب، طلب منها أحد الحرس إثبات شخصيتها، أخذ يسجل بياناتها وهي تتساءل: لماذا يفعلون ذلك؟

دخلت سماح وهي تنظر إلى كل شيء، فوجئت بهذه القبة العظيمة التي تتوسط المبنى، أخذت تتأمل حولها، الناس يذهبون ويجيئون في سرعة، كل يعرف طريقه، عالم آخر تتعرف إليه اليوم. ترى ماذا كان سينقصها لو لم تتعرف إلى هذا الجزء من العالم؟ وما أهمية أن تتعرف إليه؟

نظرت إلى الساعة، لا يزال هناك وقت على موعدها، جلست على أحد المقاعد، وأخذت تتأمل ما حولها، ما لبثت أن جلست بجانبها امرأة في الخمسينيات من العمر، وهي تضرب كفا بكف، وتسترجع وتحوقل، وبادرتها قائلة بانفعال:

هل تصدقين؟ يريد أن يسجنني الآن! بعد أن حاول أن يسجنها وفشل، لقد توعدني أن يسجنني، هل تصدقين؟

قالت: ووجدت نفسها تدخل في حديث فجأة مع امرأة لا تعرفها، عمن تتكلمين؟

ردت: زوج ابنتي، ادعى عليها بأنها ضربته، كيف تضربه وهي في نصف وزنه؟ من يصدق يا ناس؟ يريد أن ينفذ وعيده ويسجنها، لكنه لم يستطع أن يثبت ضربها له، ومن شدة غضبي عليه شتمته فادعى عليّ يريد أن يسجنني وقد شتمته أمام شهود، أنا حماته التي في منزلة أمه يريد حبسي!! انظري إليها، أهذه الفتاة يمكنها أن تضرب؟ تضرب من؟ غضت من صوتها وهي تقول: ذلك البغل؟

أشارت إليه في خفية وهي تتظاهر أنها لا تراه.

نظرت الفتاة حيث أشارت محدثتها، رأت امرأة في حوالي الثلاثين من عمرها، نحيلة، تقف جانبا بين أبيها وأخيها كما يظهر، لا يبدو أنها ضعيفة إلى الحد الذي تصفه أمها، لكن هل يمكن أن تغامر فتضرب بيدها رجلا كهذا؟

كانت الأم المسكينة ما زالت تتحدث عن ابنتها وعن زوجها وأفعاله المشينة مع أحمائه، وكانت الفتاة تسمع وتكاد لا تفقه كثيرا من شكوى شريكتها في المقعد لكنها كانت تهز برأسها بين الفينة والفينة وتحوقل معها، وتؤملها أن تأخذ حقها، فالقضاء سيأخذ مجراه، بينما كانت تكاد ترى خلف الزوجين المنكودين (الكوشة) التي ضمتهما معا قبل أشهر أو سنوات قليلة، وسط فرح الأهل والأقرباء، تكاد تراهما يتبادلان عبارات الغزل ويتضاحكان، تكاد تسمع أصوات الزغاريد والغناء، تتساءل في عجب:

كيف ينتهي الأمر بحبيبين بهذه الطريقة المشينة؟! أليس بينهما فضل يذكرانه؟

عادت تنظر في ساعتها، لم يحن الوقت بعد، تعلم أن بإمكانها أن تتصل به فيأتي إليها على عجل، وربما ترك شغله لأجلها. ابتسمت لهذا الخاطر وأسلمت ذهنها لأحلام وردية. فجأة لمحت صديقة قديمة، قامت إليها مسلمة ومصافحة، تأخر زوج صديقتها خطوات للوراء ليترك لهما المجال لتبادل التحايا، وقد لاحظ الحفاوة التي تم بها اللقاء، استأذنت الصديقة من زوجها بتهذيب بالغ، وأشار هو إليها أن تتفضل مع صديقتها بنفس التهذيب.

انتحت جانبا بصديقتها وأخذت تحدثها وتسألها عن أهلها وعن صديقاتهما، وكانت الأخرى ترد وتلتفت بين فينة وأخرى إلى زوجها الذي وقف ينتظر دون أن يبدي امتعاضا، أخذت تقول لنفسها وقد لاحت منها التفاتة إلى رفيقتها في المقعد قبل قليل: كيف يتطور الأمر بين زوجين ليصلا إلى مثل هذه المحطة الكريهة؟ لكن هل يمكن أن يرجعا ويمارسا حياتهما زوجين بعد هذه المحطة؟

لماذا لا يتعامل الأزواج كلهم مثل صديقتها هذه وزوجها؟ إنهما يتعاملان بكل تقدير واحترام.

قالت سماح: أتعلمين؟ هذه أول مرة أدخل فيها محكمة، إنها تجربة جديدة، إذ ذاك، لاحظت مسحة ألم في وجه صديقتها، فضلت عدم سؤالها عما أتى بها، قالت الصديقة تخلُّصا من الحرج: ولكنك لم تخبريني لماذا أنت هنا؟

قالت في خفر: جئت أقابل خطيبي فأنا على موعد معه، أضافت في فخر مغلف بالحياء: إنه القاضي، وقد تأخر، لا بد أن قضيته اليوم شائكة، كان يفترض أن يكون قد انتهى منها. يا للناس وقضاياهم التي لا تنتهي!

ما أن التفتت حتى رأته واقفا في انتظار أن تنهي حديثها مع صديقتها، اعتذرت من صديقتها على عجل وخفَّت إليه مسلِّمة، بادرها بالقول: هل كنت تعرفين هذه المرأة؟ قالت: نعم هي صديقة عزيزة، لكن إن كان سيادة القاضي يظن أنه يتهرب من عتابي على تأخره عن موعده معي بهذه الطريقة فهو مخطئ.

أخذ بيدها وضحك قائلا: أعتذر بشدة يا آنستي العزيزة، كنت في قاعة المحكمة قاضيا، وأصبحت بين يدي حبيبتي متهما!

ردت في دلال: لكنك بالتأكيد لست بحاجة إلى محام يترافع عنك.

قال: ربما كان يشفع لي عندك أن قضية صديقتك هي السبب في تأخري، تصوري أنها قد اتفقت هي وزوجها على الطلاق!

الطلاق!! غير معقول، إنها وزوجها يضربان أروع الأمثلة في التعامل معا، لا أصدق، بحق الله لماذا يطلقان؟؟

ليس هذا هو العجيب، العجيب أنهما رفضا بإصرار أن يبوحا للمحكمة بأسبابهما، وقد حاولت بكل طريقة أن أثنيهما عن عزمهما عليه، بعدما رأيته من تفاهمها النادر، قالا: إنهما اتفقا أن الأمر يهمهما وحدهما ولا يهم أحدا سواهما، ولذا آثرا أن يفترقا في صمت!■

يُعدُّ الأستاذ أحمد حسن الزيات واحدًا من تلك الكوكبة العظيمة التي تبوأت مكانة الصدارة في تاريخ الثقافة العربية، خاصة بعد النهضة العلمية والأدبية التي شهدتها مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، فقد استطاع من خلال أسلوبه الرائق ولغته السمحة أن يلج إلى كوكبة كبار الكتاب وأئمة اللغة والبيان.

رمضان في مرآة أمير البيان

الأستاذ أحمد حسن الزيات

وقد عزز من مكانته واحداً من قادة الرأي والتوجيه إصداره «مجلة الرسالة» التي كان لها الأثر البالغ في الثقافة العربية، فقد استطاعت وصل الشرق بالغرب، وبعث الروح الإسلامية والدعوة إلى وحدة الأمة، وقد أفسحت صفحاتها آنذاك لأعلام الفكر والثقافة والأدب من أمثال العقاد والرافعي وأحمد أمين، وتخرج في المجلة جيل من الأدباء والكتاب في مصر والعالم العربي من أمثال محمود محمد شاكر ومحمد عبد الله عثمان وعلي الطنطاوي وأبي القاسم الشابي وغيرهم.

فلم يكن الزيات ذاك الأديب الذى يتصل بأدبه وحده كما هو شأن معاصريه من الأدباء، ولكنه كان يمثل مدرسة لها أثرها البالغ في توجيه أجيال من الأدباء والقراء[1]، ولعل ذلك هو الذى أبقى ذكره عند ذائقة الأدب علماً من أعلام الفكر ورواد الأدب في العالم العربي، وأصبح جديرا بلقب أمير البيان.

محمد أحمد عبدالقادر محمد – مصر

استقبال شهر رمضان

لقد حظي شهر رمضان بنصيب وافر من أدب أستاذنا الزيات وفكره، وسجلت مقالاته إسهاماته القيمة من خلال مجلته «الرسالة»، فكتب مقالة بعنوان: يومان من أيام رمضان؛ يقول: «رمضان ربيع الأرواح، فهو صيام للجوارح عن الأذى،

وفطام للمشاعر عن الهوى، يستقبله الناس بعد أحد عشر شهرا قضوها في صراع المادة وجهاد العيش، تكدَّر فيها القلب، وتبلد فيها الحس، وتلوث فيها الضمير، فيجلو صدورهم بالذكر، ويُطهّر نفوسهم بالعبادة، ويزوّد قلوبهم من مذخور الخير بما يقويها على احتمال الفتن والمحن في دنيا الآمال والآلام بعده العام كله»[٢].

ولا غرو فرمضان شهر إقالة العثرات، ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات، وهو موسم من مواسم الخيرات، وفرصة للمذنبين كي يجددوا التوبة مع ربهم سبحانه وتعالى.

رمضان رياضة النفس

ويعرض أستاذنا الزيات لثمرات الصيام الروحية في مقالة له نشرها بالرسالة بعنوان (رمضان) والتي نشرها في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٣م، حيث يقول: «نعم رمضان بعد أحد عشر شهرا قضاها المرء في جهاد العيش مستكلب النفس، مستأسد الهوى، متنمّر الشهوة، ليوقظ روافد الخير في قلبه، ويرجع روحه إلى منبعها الأقدس، فتبرأ من أوزار الحياة، وتطهر من أوضار المادة، وتتزود من قوى الخير والحق والجمال، فرمضان رياضة للنفس بالتجرد، وثقافة للروح بالتأمل، وتوثيق لما وَهَى بين القلب والدين، وتقريب لما بَعُد بين الرأفة والمسكين، وتأليف لما نفر من الشمل للجميع»[٣].

ويؤكد الزيات على العناصر الرئيسة لعقيدة الصوم حيث «يشترك فيه المسلمون في جميع أقطار الأرض، فيصومون في وقت واحد، وينصرفون عن الملذات الحسية والنفسية ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع إلى الله، فيغضوا أبصارهم عن المنكر، ويكفّوا ألسنتهم عن الفحش، ويَصُمّوا آذانهم عن اللغو، ويغلّوا أيديهم عن الأذى»[٤]. وبالجملة فإن الصيام ركيزة تضمن للنفس رقيها ونقاءها، وتحقيق حكمة الصوم من التقوى ومجاهدة النفس، وهما لاريب الغاية من الصيام.

رمضان رباط اجتماعي

ورمضان فوق أنه مظهر قومي عند الزيات؛

أحمد حسن الزيات

تظهر فيه القاهرة بوجهها الشرقي الجميل لاسيما سكتتها عند الإفطار، وجلبتها عند السحور، وسعادتها عند ساعة انطلاق المدفع. فرمضان المعظم رباط اجتماعي وثيق، فهو «يؤكد أسباب المودة بين أعضاء الأسرة بالتواصل والتعاطف، وبين أفراد الأمة بالتزاور والتآلف، وبين أهل الملة

بذلك الشعور السامي الذي يغمرهم في جميع بقاع الأرض بأنهم يسيرون إلى غاية الوجود قافلة واحدة ممتزجة الروح، متحدة العقيدة، متماثلة المعيشة»[٥].

وما أجمله من شعور تعيشه الأمة في رمضان، تكافلا وتعاونا وتراحما ومشاركة للآخرين! والسعي لإعانتهم والتضامن معهم، وهو لا شك من مقاصد الشهر الكريم.

رمضان علاج لأمراض اجتماعية

وكما أن الصيام عبادة فهو وسيلة ناجعة لعلاج أمراض اجتماعية ونفسية كامنة في المجتمع، وهذا العلاج يصب في مصلحة الفرد والمجتمع على حد سواء، ويعدد لنا الأستاذ الزيات كثيرا من الحالات النفسية والسلوكية التي عالجها وصحح مسيرتها الصيام، «فهذا القوي الذي كان وهو صائم يمر باللغو كريما فيقابل الذنب بالمغفرة، والسيئة بالحسنة، لماذا لا يحرص على هذا الخلق وهو مفطر!؟ وهذا التاجر الذي راضه الصوم على أن تقف نفسه عند حدود الله في التجارة، لم يطفف في المكيل، ولم يغش البضاعة، ولم يرفع السعر فارتاح ضميره، لماذا لا يلزم نفسه ذلك في كل وقت بعد أن استمرأ طعم الحلال، وأدرك لذة الحق!؟ وهذ الغني الذي ذاق في رمضان ألم الجوع ثم استطاع بالصدقة أن يخفف عناء الفقر عن فقير، لماذا لا يشعر دائما أن الجوع بعد رمضان باق!؟»[٦]

ويخلص الزيات إلى أنّ الصيام شهر استشفاء نعالج أنفسنا من الشر لتبرأ منه، وليس الغرض أن يُحدث أثره الطيب في شهر بعينه، فليس ذلك حكمة الشارع الحكيم من فريضة الصيام.

وداع رمضان

يتباين الناس في توديع شهر رمضان، فالمتقون يودعونه وعلى وجوههم الأسى على بركات تَهمُّ بالرحيل، وأما الذين في قلوبهم مرض، وفي إيمانهم ضعف؛ فيودعون في رمضان قيودا منعتهم عن شهوات الجسد. فما أشبه حالهم بحال السجين الذي أطلقوه من سجنه! وهؤلاء ليسوا من رمضان في شيء ولا من أهله.

ويوجه الاستاذ الزيات نصائح للصادقين من الصائمين في مقالة له بعنوان: (عبرة الصوم في وداع رمضان)، فيقول: «هل أنتم يوم ودعتموه خير منكم يوم استقبلتموه؟ هل تشعرون أن نفوسكم أصبحت أطهر؟ وأن أخلاقكم صارت أكرم؟ وأن أهواءكم غدت أرفع؟ اسألوا أنفسكم هذه الأسئلة، ثم أجيبوا عنها، وأنا معتقد أن أجوبتكم ستكون بالإيجاب، وإلا لما حزنتم على انقضاء رمضان، فإن المرء لا يحزن إلا على عزيز»[٧].

فما أجمل أن نخرج من رمضان بزاد من البر والتقوى يكون لنا عدة من الصبر للجهاد والعمل والبناء لتزكية نفوسنا وعمارة الأوطان!■

الهوامش:

(١) المقتبس من وحي الرسالة، للزيات بتصرف، ص٥، دار القلم، الكويت.

(٢) أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة، الجزء الرابع، ص٤٦٩، دار نهضة مصر، ١٩٦٦م.

(٣) الزيات، وحي الرسالة، ج١، ص٧٢ ط٦، دار نهضة مصر، ١٩٦٢م.

(٤) الزيات، في ضوء الرسالة، ص٢١٧، دار نهضة مصر، ١٩٦٣م.

(٥) مجلة الرسالة، عدد٢٥، مقالة (رمضان)، بتاريخ ١٩٣٣/١٢/٢٥م.

(٦) الزيات، وحي الرسالة، الجزء الرابع، ص٣٦٢، ط٢، دار نهضة مصر، ١٩٦٦م.

(٧) المرجع السابق، ص٣٦١.

في ذكرى وفاتها الثالثة

عبدالله بن محمد المسعد - السعودية

ماتت ولكن لم تمت ذكراها ... هي حيةٌ ما أسفر القمران

في خاطري دوماً تذكّر عهدها ... عهدٌ سما بالفضل والإحسان

ولئن نسيت فلست أنسى عطفها ... وحنانها قد فاق كل حنـان

تحنو عليَّ ولو كبرت فعينها ... مهما كبرت فكالصغير تراني

وسرورها إن سرّني أمرٌ ولو ... كنت الحزين لبددت أحزاني

ولكَمْ رأيت على محياها الندي ... بشراً أُسرُّ به إذا لاقاني

أنسى به تعب الحياة وثقلها ... ويزول عن نفسي عنا الحدثان

وتطيب أوقاتي ويصفو عيشها ... وتصير آلامي إلى النسيان

قد عشت دهراً سلوتي في قربها ... ومكانها في الدار خير مكان

والقلب يأنس من سماع حديثها ... لو كان يشغل سائر الأحيان

ولقد عرفت السعد في إرضائها ... والنفس تسعد في رضا الرحمن

الله أوجد حبها في مهجتي ... من ذا يعارض قدرة الديان

يا رب فاغفر زلتي واغفر لها ... واجعل لقانا جنة الرضوان

عمر واليتامى!!

مسرحية شعرية

يحيى حاج يحيى - سورية

المشهد الأول

(عمر متململا قرب المحراب، ودموعه تنهمر من عينيه):

لمن أشكو، وقد وُليّتُ أمرا
أشق عليّ مِنْ وقعِ الحسامِ
فيا ويلي، وويل أبي وأمي
إذا نام اليتيمُ بلا طعامِ
وضمّ الليلُ أناتِ الثكالى
وطاب النومُ لي بين النيامِ!؟

(صاحبه بجانبه وقد لفّه الظلام):

أبا حفصٍ، تمهّلْ... فاليتامى
بخير، أنت أكرمتَ اليتامى

(عمر ملتفتا إليه):

وما يدريكَ أنّ هناك طفلا
يصيح، ولم يجد يوما طعاما؟!

صاحبه:

إذاً، أرسلْ رسولكَ في نهار
ومثلكَ مَنْ يفتشُ في الظلام
وإنك إنْ تجدْ أني أمينٌ
أكنْ عونا لبِر أو وئام

عمر:

تُعاهدني على هذا، وتعطي
لربكَ موثقا، ولنا عهودا

صاحبه:

أعاهدُ –يا أبا حفصٍ–وأمضي
غدا، وأكون جنديا ودودا

عمر: لِنقضِ الليلَ في وجلٍ قياما

صاحبه: ونجعله ركوعا أو سجودا

عمر: ويومٍ غد تُوافيني ضَحاءً

صاحبه: وأحضر أهلَ بؤسٍ، أو شريدا

المشهد الثاني

(ويمضي الليل.. عمر بين أصحابه ينتظر قدوم صاحبه)

عمر: أَحَبُّكمُ إلى قلبي النصوحُ

أحدهم: ولو يأتيك في غضب يصيحُ؟!

عمر:

ولو... لسنا أباطرة لنرضى
ونغضب، ثم يرضينا المديحُ
فإنا نأتسي بالهَدْي نهجا
وأُسوتنا الرسولُ، فلا جُنوحُ

(وقع أقدام، عمر ينظر باتجاهها)

عمر: لقد وفَّى

أحد الجالسين: وشيمته الوفاءُ

عمر: كذاك يكون يا صحبي الإخاءُ

صاحبه:

سلامُ الله، يا عمرَ اليتامى

ويا صحبَ الخليفة أجمعينا

(يردون السلام.. ويلفت نظرهم أن معه أطفالاً ثلاثة)

عمر: أراك جلبتَ أطفالا صغارا؟!

صاحبه: وأنت لهم، لقد فقدوا المُعينا

عمر: أبوهم!؟

صاحبه: قد قضى من بعد أمّ

عمر (يهز رأسه بأسى): لنا تركوا ديونا أو بنينا

(ثم يلتفت إلى الأطفال)

أبِتُّمْ بعد فقدهما جياعا؟؟

الأطفال: ثلاثا لم نذق فيها طعاما

عمر:

لقد كنا – فُديتم– غافلينا

فمعذرةً – بَنِيَّ– بما نَسينا

عمر **(يلتفت إلى أصحابه)**:

ألم أُخبِركُمُ –صحبي– بعجزي

وضعفي، واحتياج المسلمينا

فأيُّكمُ يكون لها شهودا

أمامَ الله ربِّ العالمينا

بأنَّا لم نقصِّرْ في حقوقٍ

وما كنا لهذا عامدينا

أصحابه:

ألا أبشِرْ –أبا حفص– فإنا

شهودُ الحقِّ غيرُ مقصرينا

عمر **(يلتفت إلى الأطفال)**:

وأنتم – يا بَنِيَّ– إذا سُئلتم

فما أنتم لربي قائلونا؟؟

أمَا –واللهِ– ما قصَّرتُ فيكم

ولا أدري قدومكمُ المدينةْ

فعفوَكمُ، ومعذرةً ثلاثا

الأطفال: ألا اكْفُفْ –لا عُدمتَ– فقد رضينا

عمر **(يلتفت إلى صاحبه الذي أحضر الأطفال)**:

جزاك الله من خير الجزاءِ

صاحبه: وأبقاكَ الإلهُ لنا إماما

عمر **(يشير إلى الأطفال)**: فزِدْني –يا أخي– من هؤلاء

صاحبه: وإنك لم تزَلْ أملَ اليتامى

عمر: فخُذْ ثقتي بعاقبة الوفاءِ

صاحبه: أنا لولاكَ –يا صاح– أنا، ما؟

عمر **(يلتفت إلى أصحابه)**: أعاهد خالقي

أصحابه: إنا شهودٌ

عمر:

بأن أمضي بكم سُبلَ الرشادِ

فكونوا العونَ لي في كل آنٍ

لنقضي بيننا حقَّ العباد

أصحابه: نعاهد يا أميرَ المؤمنينا

عمر: بأن تبقوا بنصحي قائمينا؟

أصحابه:

بأن نبقى، ولا ننسى العهودا

ونطعم جائعا وفتى شريدا

الأطفال **(ينظرون إلى عمر، وقد أحسوا بالحنان)**:

أبانا! نحن لم نفقِدْ أبانا

عمر: ولن يرعاكمُ أحدٌ سوانا

فهيّا – يا بَنِيَّ– نُصِبْ طعاما

فأنتم خيرُ ضيفٍ قد أتانا

- النهاية -

من وحي اللقاء والغياب

كان اللقاء مع الشاعر العربي الكبير عمر أبي ريشة في مدرج كلية الطب بحلب، وذلك يوم الثلاثاء الساعة السابعة مساء بتاريخ (١٩٨٨/٣/٢٩م)، وكان مهرجان الفرح الحقيقي حيث كانت العروس القصيدة، وكان عرس الشعر.

مفيد فهد نبزو – سوريا

من وحي اللقاء

سألتُ ما بالها الشهباءُ يا بشر ... بدتْ بأروع ما تبدو بهِ الصُّورُ
ردَّتْ طيورُ السماءِ المنشداتُ بها ... اليومَ عادتْ عروسُ المجدِ تفتخرُ
اليومَ عادتْ عذارى الشعرِ راقصةً ... فليسكتِ العودُ، أو فلينتشِ الوترُ
عادتْ عذارى الهوى والشعرِ في عُمرٍ ... والحبُّ والعطرُ والعشاقُ والقمرُ
يا ليلةً من ليالي العمرِ نعشقها ... هلَّتْ علينا، وكانَ العيدُ والقدرُ
هلَّتْ علينا عروسُ المجدِ في كبَرٍ ... تتيهُ.. تسحبُ ذيلاً كلُّهُ كِبَرُ
كانَ اللقاءُ وملءُ الرُّوحِ نشوتها ... والقلبُ يخفقُ أينَ القلبُ والبصرُ!؟
كانَ اللقاءُ بنسر الشعرِ نسألهُ: ... من أينَ جئتَ؟ يطلُّ السِّحرُ والسَّحرُ
فليكبُرِ الشعرُ في الشهباءِ يا وطني ... إنَّ اللقاءَ لقاءُ العمرِ يا عُمرُ

***

من وحي الغياب

قالوا: فقلتُ لهُمْ هُراء ... أيموتُ نسرُ الكبرياءْ!؟
أيموتُ نسرُ عروبتي ... وبهِ العقيدةُ والإباءْ!؟
من عبقرِ الجنِّ العجيـ ... ـبِ أطلَّ فابتسمَ اللقاءْ
مازلتُ أذكرُ قولهُ: ... "أنا واحدٌ من هؤلاءْ
الواجمينَ الذاهلينَ ... المتعبينَ الأشقياءْ"
يا أمَّةَ العُرْبِ اسمعي ... عُمَرٌ وما أحلى النداء!
هذا الذي اعتنقَ الشرو ... قَ وغابَ مَطعونَ الرَّجاءْ
غنَّى وأحيا صَوتهُ الـ ... أحرارَ في عرسِ الجلاءْ
هلْ كانَ إلا ثورةً ... فيها البطولةُ والفداءْ!؟
هلْ كانَ غيرَ قصيدةٍ ... عصماءَ تصدحُ بالوفاءْ!؟
ما كانَ إلا في الذرا ... يصطادُ أحلامَ المساءْ
ما كانَ إلا شاعراً ... يحيا بأجنحةِ السماءْ

***

وربَّما

نجاح عبدالقادر سرور - مصر

وربَّما
توتّر الفؤادْ
وأُسْكِبتْ من المُنَى دُموعْ
وعشّشَ السُّهادْ
وسَيْطرتْ على الهَزيعِ آهةٌ
وأُخْمدتْ شُموعْ
لَجأْتُ عَبْرَ سجْدةٍ إلى الطبيبْ
فَيُرْضِعُ الفُؤادَ جَرْعَةَ الأمانْ
وبَلْسمَ الرُّكوعْ.

***

وربَّما
تكاثر الظلامْ
ولم يَعُدْ بأرضنا سلامْ
وحُطِّمَتْ زروعْ
وهَيْمنَتْ على الديار صرْخةٌ
تُمَزّقُ الضلوعْ
رَفَعْتُ للسماء ناظرَيّ
بَسَطْتُ عَبْرَ توْبتي يَدَيّ
تَوَسَّلَ الدُّعَاءُ للحبيبْ
يُجيبُني بلَمْسةٍ حَنُونْ
فَيَنْزَوي الظلامْ
وتَبْسَمُ الزروعْ
وتَبْدأُ الشموسُ في الطُّلوعْ

***

وربَّما
تبَدَّلَتْ حياةْ
وفارقَ الأحبة الحبيبْ
وزُمْزِمَتْ ضلوعُنا بلَوْعةِ
النحيبْ
وهَرْوَلَ المَشيبْ
وضاقت الحياةُ بُدِّلتْ لِحاجَةٍ
وجُوعْ
هَربْتُ نحو ظِلّ مسجدي
جَثَوْتُ والفؤادَ ضارعًا
يا سيدي يا سيدي!
وكلنا دموعْ
إذا به يَلُمُّ شَعْثَ آهتي
ويرْسُمُ الأمانَ في رُبوعِ ديرَتي
فينتَشي فضاؤنا
كأنّ في فضائنا "مُحمدٌ"
يضُمُّ فى كَمالِهِ "يَسُوعْ"

***

وربَّما تصارعَتْ في داخلي
هُموم
وأُخْمدَتْ نُجُوم
وآهةُ الحزينِ داخلي تجيشْ
كأنّ قلبي نابِضٌ مِن غيْر أن
يعيشْ
ووَرْدَتي تجَهَّمَتْ أصابها
الوُجُومْ
أصابها الجمودْ
لكنني لمسجدي أعودْ
وساجِدًا أُمَرِّغُ الجَبينْ
وضَارِعًا أقولْ:
ما أجْمَلَ الرُّجوعْ!..
إذا بِكَفّ رَحْمةٍ تُذيبُني
وفي الحَنايا مِسْكُها ونُورُها يَضُوعْ

***

وربَّما.. وربَّما..
لكنَّني
أمْضِي سَريعًا نحْوكُم يا سيدي
والروح والكيانُ في خُضوعْ
إذا بكُمْ رَوَّيْتُمُ
أشجارَ نُورِ طاعتي
فَهَلَّلَتْ جُذُورُها
وسَبَّحَتْ فُرُوعْ■

المصطلح النقدي لدى محمد حسن بريغش قضايا وإشكالات ومفاهيم

إن موضوع الأدب الإسلامي ملح اليوم أكثر من أي وقت مضى، والأمة مطالبة بأن توليه من الأهمية ما يستحق، صحيح أن الأولويات تتزاحم على مداخل لائحة الاهتمامات التي ينبغي أن تسطر، لكن في هذا المجال - أي مجال الأدب والنقد - ينبغي أن يأخذ الأدب سبيله الصحيح ليقوم بمهمته المحددة أدبا يحمل فكر الأمة، نابعا من كتاب ربها وسنة نبيها، بانيا صالحا مصلحا، حريصا على مقوماتها اللغوية والخلقية.

د.الطيب رحماني – المغرب

إن قضية الأدب الإسلامي من الأولويات التي يجب أن ينصرف إليها اهتمام ثلة من العلماء والأدباء والمثقفين، بعد أن قطع هذا الأدب أشواطا مهمة في مسيرته التجديدية، وأخذ يواجه قضايا وإشكالات كبرى منها:

– قضايا وإشكالات سبق التطرق إليها، لكنها تتجدد باستمرار بسبب عدم الحسم فيها من قبل منظري هذا الأدب ومبدعيه، مثل قضية التسمية «الأدب الإسلامي»، وعلاقة هذا الأدب بالآداب الأخرى مثل الأدب العربي وغير العربي.

- قضايا شرعية تستدعي البت من قبل الفقهاء والعلماء المسلمين بفقه الواقع عموما والأدب خصوصا، مثل موضوع المسرح الإسلامي ودور المرأة فيه.
- قضايا المصطلح النقدي تنظيرا وتطبيقا، إذ ما زال النقد الإسلامي في حاجة إلى مزيد من الدراسات التي تولي المصطلح أهميته، خصوصا أن هذا النقد قد تأثر بفوضى المصطلح التي يشهدها النقد العربي الحديث، مما انعكس سلبا على الرؤى النقدية لبعض النقاد الإسلاميين.

إن العمل الذي تم إنجازه يتناغم والحركة الأدبية والنقدية الإسلامية التي وصفنا جوانب منها آنفا، ولعل الموضوع الذي يطرقه يتيح له أن يشكل إسهاما مهما في هذا السبيل، إذ هو موضوع يتقاطع فيه محوران مهمان متكاملان:

- محور النقد الإسلامي ممثلا في المتن المدروس أي كتابات محمد حسن بريغش النقدية، وما تحبل به تلك الكتابات من مقاربات نقدية نظرية أو تطبيقية، في دراستها تعريف بجزء من النقد الإسلامي، وكشف عن بعض قضاياه.
- محور يخص زاوية النظر إلى هذا المتن، أقصد دراسة المصطلح وقضاياه، دراسة متانية حفرية تتيح الوصول إلى نتائج وحقائق لا تسعف في الوصول إليها دراسة القضايا النقدية المجردة.

واختيار متن محمد حسن بريغش موضوعا للدراسة لم يكن المحدد فيه الشهرة الإعلامية، ولا كثرة النشر، ولا غزارة المشاركات في اللقاءات العلمية؛ وإنما يعود إلى اعتبارات يتقوى بعضها ببعض بدءا من الكبير المقدر إلى البسيط المدبر، ومن ذلك:

- أن بداية الاهتمام بتراث الرجل ومواقفه النقدية، ورؤيته للأدب الإسلامي تعود إلى تاريخ وفاته سنة ٢٠٠٣م، وقد كنت وقتها طالبا بسلك الإجازة فقررت أن أتخذ من تراثه موضوعا لبحث حمل عنوان «الرؤية النقدية عند محمد حسن بريغش»، وبما أن ذلك البحث لم يكن سوى خطوة أولى في سبيل البحث الأكاديمي فقد بقي في الخاطر شيء من الرغبة في دراسة أوسع وأدق للجوانب المثيرة للاهتمام عند الرجل.

محمد حسن بريغش

- أن المواقف النقدية الشجاعة لبريغش، والتفرد بالآراء الجريئة والتمسك بها ما دامت تستمد مصداقيتها وصوابها من الرؤية الإسلامية الأصيلة يجعله مقدما على كثير من دعاة الأدب الإسلامي، فهو لا يداهن، ولا يماري في أن يقبل من الأمور ما وافقت أسس هذه الرؤية، ويرفضها إذا خالفتها أو خرجت عنها.
- أنه يجمع بين الكتابة الأدبية والنقدية، والكتابة في موضوعات الدعوة والتربية، لذا كان أكثر حرصاً على ضرورة تمثل القيم الإسلامية تمثلا

كاملا في الأدب الإسلامي.. فلا ينبغي أن يقدم عليها شكل ولا رسم، وهو ما اعتبره بعض المهتمين بالنقد الإسلامي ميلا إلى المضمون على حساب الأبعاد الفنية، وقد يفهم من هذا التقليل من أهمية الأعمال النقدية التي خلفها الرجل، وهو في حد ذاته يدفع إلى الإسهام في إحياء جذوة هذه الأعمال وما تحمله في آلياتها من مواقف صامدة في وجه الأمواج العاتية للتغريب الذي يحاول جاهدا بسط هيمنته على مختلف المجالات المعرفية والعلمية للأمة.

- أن متن الرجل محدود زمانا، بما أنه متوفى، وهذا يوفر فرصة أكبر للوصول إلى أهم كتاباته، ويقطع الشك باليقين لتحديد المراحل التاريخية التي قطعتها الكتابة عنده، وكل ذلك وغيره مما يسعف في رصد حركة المصطلح النقدي في متنه، وما يمكن أن يكون طرأ عليه من تطور لفظي أو دلالي أو استعمالي.
- أن أعماله النقدية متوسطة من حيث الكم، فهو ليس بالكاتب المكثر ذي الكتابات المتشعبة، ولا المقل ذي الأعمال النادرة، وهذا يجعل التعامل مع متنه مناسبا للفترة المخصصة للبحث، ويتيح فرصة إنجاز دراسة مصطلحية بعمق أكثر، دون الشعور بالاستعجال الذي يقود كثيرا إلى أخطاء لا تغتفر.

تتكون هذه الأطروحة من مقدمة، وخمسة فصول موزعة على بابين زيادة على خاتمة، وفهارس مكملة.

في المقدمة بسط الكلام في كل ما يحيط بالأطروحة من عوامل وظروف عامة مثل الموضوع ودوافع اختياره والصعوبات المرتبطة بالإنجاز.. فهي دراسة مصطلحية تهدف إلى تجريب منهج الدراسة المصطلحية على متن من متون النقد الإسلامي يتمثل في تراث الأديب الراحل محمد حسن بريغش.

وفي ضوء ذلك حاولت الأطروحة وضع القارئ في صورة واضحة بخصوص السياق العام الذي تندرج ضمنه، فرصدت واقع المسألة المصطلحية في النقد الإسلامي الحديث، وتوقفت عند أهم الدراسات التي تمثل هذا المنحى، وبينت حاجة النقد الإسلامي إلى مزيد من البحث المصطلحي في ضوء جملة من الاقتراحات المستفادة من جهود المصطلحيين المغاربة ممثلين في مؤسسة معهد الدراسات المصطلحية بفاس، كما ضم التمهيد مبحثا ثانيا عرف بالأديب الناقد محمد حسن بريغش، وأهم ما خلفه من كتابات وما قيل فيه من شهادات.

وقد خصص الباب الأول لمحور رئيس أول من البحث هو محور القضايا والإشكالات المصطلحية الأكثر بروزا في تراث بريغش،

وبذلك ضم أصلين خصص الأول للقضايا: وضع المصطلح نظريا وتطبيقيا، أي في نظر الدراسات المصطلحية للوضع تعريفا أو شروطا وطرقا.. ومدى تمثل بريغش له، أو حديثه عنه، ومثل ذلك انسحب على قضايا التعريف والتطور والمرجعية.

أما الإشكالات فقد استوقف الأطروحة منها أقسام هي: إشكالات الوضع أو التعريف، يضاف إليهما تداخل المصطلحات والمفاهيم، والموقف من المصطلح الأجنبي والحداثي.

أما الباب الثاني فخصص لدراسة ثلاثة مصطلحات أساسية في متن بريغش اعتمادا على منهج الدراسة المصطلحية بمعناه الخاص، أي المنهج الوصفي الذي يقوم على نتائج إحصاء المستعمل من المادة الاصطلاحية وتصنيفاتها، فكان أن تفرع هذا الباب إلى ثلاثة فصول.

في الفصل الأول مفهوم الأدب الذي يعد أكثر المصطلحات استعمالا، فتناول التعريف به وتصنيف ضمائمه الوصفية والإضافية، ومعطوفاته والقضايا النقدية المرتبطة به في التراث المدروس، ومشتقاته، وعلى ذات المنوال سار الفصلان الثاني والثالث المتعلقان بمصطلحي القصة والنقد، مع قدر ضئيل من التفاوت الذي يرجع إلى حجم وطبيعة استعمال المادة الاصطلاحية لهذه المصطلحات الثلاثة.

وقد ذيل كل فصل من فصول البحث بتجميع أهم المستفادات بما يبرز قيمته ودوره في الإسهام في التجديد ضمن الموضوع الذي يطرقه، وهو ما ركزت على تجميعه بشكل مكثف الخاتمة، بما أمكن القول: إن البحث حقق عدة نتائج منها:

تشخيص واقع المسألة المصطلحية في النقد الإسلامي الحديث، واقتراح خطة عمل قائمة على تكامل منهجي للنهوض بالمسألة المصطلحية في ذلك النقد، والإسهام في الجهود المتنامية التأصيلية، والمشاركة في المشروع المصطلحي الكبير الهادف إلى إنشاء معجم تاريخي للمصطلحات العلمية.

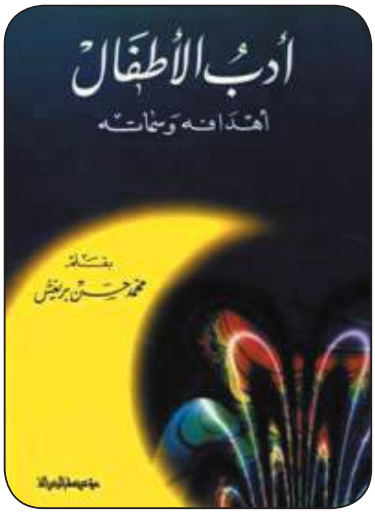

وقد ذيلت الأطروحة بعدة فهارس هي: فهرس المصطلحات المعرفية في المتن المدروس، وفهرس المواد والألفاظ الاصطلاحية فيه، ولائحة للمصادر والمراجعة المعتمدة، وفهرس تفصيلي لمحتويات البحث.

وقد نوقشت الأطروحة الموسومة بـ«المصطلح النقدي لدى محمد حسن بريغش قضايا وإشكالات ومفاهيم»، يوم الخميس الموافق الثالث والعشرين من شهر يوليو لعام ٢٠١٥م، برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بمدينة وجدة، في المغرب، ونال بها الباحث الطيب رحماني ميزة مشرف جدا، مع التوصية بطباعة الرسالة■

أبو دقيق!

وقف على مقربة من باب الغرفة، و"أبو العيون" إلى جواره، كانا صامتين مأخوذين؛ كأن على رأسهما الطير، أو كأنما يقفان بأعتاب قبر.. خفق قلبه، ولهثت أنفاسه.. والكلب خاشع، لعله استشعر جلال الموقف!.. عاودته الذكريات التي يمقتها، والتي تفرض سطوتها عليه، وتتأبى إلا أن تجول في خاطره.. اندفقت من صدره زفرة حارة.

كان قد هجر حرفته عن أبيه وأسلافه.. أغلقت بوابة الطاحون العملاقة لأول مرة منذ عشرات، أو مئات السنين!.. كانت مفتوحة، ولم يرها أحد قط مغلقة..

توقفت الرحى بعد حين من الدهر.. أيّ حُمق وأيّ عبث وهو الطاحون الوحيد، والناس من القرى والكفور والنجوع، يتدافعون شطرها من كل حدب وصوب، ولا ينقطعون عن ارتيادها ليلا ونهارا؟!.. كل ساعة، وكل يوم.. تدخل جوالق و"زكائب" القمح والذرة على ظهور الحمير والإبل، لتنسحق بين حجري الرحى الهائلين، وتدرّها الأفواه دقيقا ناصع البياض.. الحركة مستمرة، والعمل دائب طوال اليوم، لا يتوقف إلا بعض ساعة في الصباح، ولم تكن إلا لتجهيز الحجر؛ فيتعاون الجد والأب والحفيد في نقر سطحه وتخشينه.. وسرعان ما تدور الماكينة، ويبدأ الشغل من جديد.

لقد ذرع جنباتها حبوا وزحفا..

حمدي عمارة – مصر

كانت تطؤه الأقدام أو تتعثر به.. يباغتهم صراخه فتفغر أعينهم ويشهقون على الأثر، ويتعجبون لضحكه محتملا الألم الذي عصف به.. ثم بدورهم يضحكون.. وما إن يُديروا ظهورهم، يختلس النظر من حوله، ويعود ليتحسس وجهه الغض، وأصابعه التي فرمتها القدم المفلطحة، ثم تعود ابتسامته التي لا تزايل محياه!.

لم يغادر الطاحون منذ رأى بصره نور الحياة، حتى بات من معالمه.. لقبوه "أبو دقيق"، فهو يصادفهم في كل الجنبات، وكأنه يطير هنا وهناك مثل فراشة "أبو دقيق"!، كما يرونه دوما ملطخا بالدقيق.. لعله يلطخ به نفسه محاكيا أباه وجدّه!.

يُروى أنه وُلد بالطاحون.. كانت أمه تتلقف الطحين ذات مرة، إذ أتاها طلق الولادة، وتنبه الجميع حين صرخت، وما لبث

أن هرولت إليها النسوة، بينما انطلق الرجال إلى الخارج، وسرعان ما توقفت الماكينة عن الدوران، والفوّهات عن الإدرار.. حتى شق صراخه الصمت، وكأنه يحتج على خروجه من رحم أمه الرحب الوضيء، إلى غبرة الدنيا ووحشتها!.

إنه لا ينسى جدّه الذي ما إن يصادفه، يحمله بين يديه، ويقذف به في الفضاء، ويتلقفه ليضمه إلى صدره.. وما يلبث أن يوزع القبلات على صفحة وجهه، وجبينه، وثغره الذي لا تدعه الابتسامة. لَكَمْ أحب جدّه وأباه!.

أراد أبوه ألا يحذو الصغير حذوه، وأن يرفق به من مشقة المهنة، وذات يوم اصطحبه جدّه إلى الشيخ "أحمد عمر" ليتعلم القراءة والكتابة، ويحفظ القرآن، أملا وتطلعا لاستكمال تعليمه في مدارس الأزهر.. ولكن أبَى "أبو دقيق" وتبرّم؛ ليس لكراهيته للكَتاب أو الشيخ، أو شيء من هذا القبيل، ولكن لأنه لا يطيق البعد عن الطاحون، وقد دأب أن يغافل العريف وينطلق كالظبي.. وينال في المقابل "علقة" ساخنة بكفَّي أبيه الخشنتين الغليظتين، وما أسرع أن يخف جدّه على صراخه لنجدته!، بعد أن ينهر ولده، ويشتم "العريف" وأسلاف الشيخ..

وكان يوم سعادته حين حرّره جدّه من الكتاب، وأسند إليه عملا بالطاحون على قدره.. ولم يندم "أبو دقيق" ذات مرة رغم ما يلقاه من تعب ومشقة، وكلما شبّ واشتد عوده زيدت تبعاته، حتى أضحى عمادا في كل أمور الطاحون.

إنه لا ينسى ذلك المشهد البشع الذي يتشبث بذاكرته ولا يدعها، والكابوس الذي يطارده في نومه ويقظته.

كان جدّه قد بلغ من العمر عتيا، وأحاطت به أمراض الشيخوخة؛ فهدّته، ليودّع الطاحون ويركن إلى الدار والفراش، ومثل الجد وهذا الصنف من الناس الذي يُمضي حياته بين الكد والكبد؛ لا يطيق الدّعة والعيش عالة على الغير، فما يلبث أن يترفق به القدر، فتطويه المنية، ليودّع الحياة في هدوء، وقبل أن تدركه تكاليف الشيخوخة، ومتاعبها.. هوى المارد الأبيض.. صاري الخيمة، وركيزة الطاحون، ولَكَمْ بكته الجموع، ولم تجف دموع الفتى، وعاش ردحا من الزمن مع ذكريات جدّه، وصورته التي لا تفارق خياله.

الصراخ ما برح يزلزله ويعصف به.. ونظرة الذهول سهم يفتك بقلبه.. كانت ساعة نكِدة، ويوما كابيا لم تطلع له شمس.. كانت ليلة مؤرقة.. صحا من نومه، ولا يدري سببا لانقباض قلبه.. توضأ وصلى الفجر، واستعاذ بالله، وراح يقرأ آية الكرسيّ والمعوذتين.. لم تكن هناك فرصة ليسأل نفسه، فالتبعة تحتل كل فكره، كما أنه متيَّم بعمله.. عاشق للناس، والغلال، ورائحة الدقيق، وصوت الماكينة الرتيب.. فما إن يلج الطاحون حتى يذوب فيه، وينصرف عن كل شيء؛ حتى الطعام!.

كان غارقا في شغله حين شق الصراخ سمعه، ليدع ما بيده، ويخفّ كالظبي إلى حيث مصدر الصراخ بغرفة الماكينة.. شهق كأنما أصابته صاعقة، فيا لبشاعة ما وقع عليه بصره!، إذ كان أبوه بين التروس، التي نشبت في لحمه وعظامه، لينبثق الدم.. بينما يشهق ويصرخ صراخا متحشرجا، وقد برزت حدقتاه وكادتا تنخلعان من محجريهما من فرط الذهول.. لم تمض هنيهة لينطفئ من عينيه وميض الحياة. توقفت الماكينة.. سكن الوحش بعد أن مزق فريسته..

لقد عجز أن ينقذ أباه، أو يفتديه.. تسمرت قدماه، أو أنها

تيبّست.. كانت أنياب الوحش أسرع وأسبق.. وراح يلطم خدّيه، ويُنزل اللوم على نفسه: "أنا الجاني!".. كان هو المنوط بشأن الماكينة.. لقد تراخى في واجبه.. لقد اضطرب الحجر، وعلى أثره سمع صوتا غير مألوف يصدر من الماكينة.. تمهل دقيقة، فخف أبوه إليها ليلقى حتفه.. كان على موعد مع الموت.. مشهد مأساوي!.. هل عانق أبوه الماكينة؟!.. أم هي التي شدته؟!.. إنه سر في طيّ المجهول، ولا يعلمه إلا خالق الأنَام.

ليتني متّ قبل هذا! انتزع الصريع من بين التروس، وشيع جثمانه إلى حيث مستقره.. وأغلق الطاحون بالضبّة والمفتاح، ورأى الناس بوابته الهائلة.. عَمَد "أبو دقيق" إلى إغلاقه، ولم يأسف على ذلك، فلم تبق الماكينة على العِشْرة.. تبدلت وحشا ضاريا، وأخذت أباه على غِرّة، وفتكت به.. خانت صاحبها بعد طول سنين..

والناس.. الناس من هنا وهناك في حالة من التبرم والتذمر، فأين يذهبون بغلالهم وهم لا يعرفون غيره؟!، وكيف يستقيم عيشهم بدون الطاحون؟! ورغيف الخبز عماد الحياة.. أيعودون لمعاناة الرحى؟.. أيرجعون القهقرى كل هذي السنين؟!.. ولم؟!.. أمن أجل موت الرجل، أم أنها الميتة نفسها ومدى بشاعتها؟..

أرغى الناس وأزبدوا، مهما تنوعت الأسباب فالموت واحد، مات صريعا تحت عجلات قطار، أو محروقا أكلته النيران، أو ميتا فوق الفراش، أو قتيلا جندلته أنياب التروس، الموت هو الموت!.. وقد تطول أيام الاحتضار.. ليس أول ولا آخِر.. الموت يحصد الأحياء منذ بدء الخلق.. كل يطوله ملك الموت ولا مفر.. لن ينجو أحد من المصير المحتوم.. لقد مات الأنبياء، ومات الملوك، والجبابرة الطغاة.. ورُبَّ أحياءٍ كالأموات، وأمواتٍ هم أحياء بسيرتهم، نعدد مناقبهم ونترحّم عليهم.

تردد القوم على "أبو دقيق"، الذي حبس نفسه في غرفة بالدار، وراح يندب حظه، عازفا عن الطعام، وصائما عن الكلام.. وما إن لعب لسانه.. زعق فيهم، وأمطرهم بالسب، وطردهم.. لا يشعر بحرق النار إلا من يقبض عليها.. لا ترى عيناه إلا المشهد البشع، وما زال صراخ أبيه يرن في أذنيه، ودمه المراق يملأ رؤيته.. أنياب الماكينة، والصراخ، والذهول، والدم المراق البريء.

ودّع الطاحون محراب حبّه.. ودارت الأيام.. نهش الجوع معدته وذويه.. وأعين الجياع تدور زائغة في محاجرها في صمت، والصمت

أبلغ من الكلام.. بل إن الصمت يحمل في أعماقه بيانا!. لم يمكث لحظة، إذ غلى رأسه وأشرف على الانفجار.. هبّ باحثا عن حرفة أخرى.. عمل نجارا.. عاندته المسامير ولم ترضخ له.. دق على إصبعه، وكاد يفرمه.. لم تكن المطرقة وحشا.. فرّ من النجارة قبل أن يُضرب ويُطرد.. عمل حدادا.. كاد أن يقتل زميله.. آثر الهروب.. استيسر أعمال الفلاحة، ولكنه لم يفلح.. مضت شهور.. نفد الصبر والخزين من كل شيء.. الجوع أشد قسوة وضراوة من الماكينة، فالموت يسري بطيئا ويُقبل على مهل.. ليس إلا أن يمد يده، أو يهجر الأهل والقرية جميعا.. الموت لديه أهون من التسول وإراقة ماء الوجه، والهروب من المسؤولية خسة ونذالة وعار.. واليأس كفر، والانتحار شِرْك والعياذ بالله.

وذات ليلة.. لم ينم "أبو دقيق"، وعمد إلى السهر يعدّ ساعات الليل التي تمضي في تلكؤ، وكانت القرية قد هجعت، وسكنت الأصوات، إلا من ثغاء ماعز، أو خوار ثور، أو نباح كلب.. كان الفجر لم يحن بعد، فلم يسمع صياح الديكة.. طرح الغطاء.. نهض، وخرج إلى الدهليز يتحسس الأرض بقدميه.. أطرق أذنيه.. لم يأت إلى سمعه إلا صوت الأنفاس الرتيبة.. خطا نحو باب الدار.. فتحه في تؤدة وخفة حتى لا يصدر صريره الباكي، ثم أغلقه في حذر، ليجد كلبه "أبو العيون" في انتظاره.. يبصبص بذيله كالعادة، ويتمسّح فيه.. وما لبث أن تقدّمه!، بينما كان يتقافز في سعادة.. كان "أبو دقيق" مولعا بالكلاب منذ صغره.. وإنه يذكر حين أبصر به لأول مرة، وكان ما زال جروا يلقم مع إخوته الجراء أثداء أمه، أو يهرولون خلفها أينما تذهب، وقد لفت نظره خفة حركته، ومداعبته لأمه، ولهوه مع إخوته، وشغف بجرأته، ووثباته الرائعة.

ولما كبر راح يدنو منه، ويلاطفه، ويعطيه الطعام.. ثم لم يجد صعوبة في استدراجه إلى الطاحون، وقد أحبه الكلب، إذ ضمن مأواه وطعامه.. وباتا صديقين حميمين.. يتلازمان، ولا يفترقان إلا عند المبيت.. ويتقاسمان مشاعر الألم والفرحة على مدى الأيام!.. وقد مات جدّه، وهو لا يدري لم سمّاه "أبو العيون"!.. أليقظته، وحدّة بصره؟ أم لهالتي الشعر البيضاوين فوق عينيه؟.. ولكن، مات السر مع جدّه.. كما فتكت الماكينة بأبيه، ولم يسأل، لماذا سمّوه "أبو دقيق"!.

يبدو أن "أبو العيون" قد سئم طول الوقفة، أو أنه استشعر تردد صاحبه، إذ شبّ بقامته إلى باب الغرفة؛ كأنما أراد أن يستحثه، عندئذ امتدت يد "أبو دقيق" لتفتح الباب، الذي أصدر أنينا.. خطا "أبو دقيق" خلف صديقه.. تأمل الماكينة القاتلة.. طاف المشهد المروّع بمخيلته.. وأبوه ذاهل العينين يستنجده.. دقق البصر، لفت نظره شيء كان قد غفل عنه.. كان أبوه يرتدي الجلباب، أجل، إنه على يقين ويقسم عليه، فالماكينة لم تشده إذاً، والجلباب هو السبب.. لقد تعجل أبوه، وأغفل أن يخلع الجلباب، الماكينة لم تخُنِ العِشْرة، ولم تقتل أباه.. الآن حصحص الحق، وبزغت الحقيقة.. الماكينة بريئة من دم أبيه.. وإنه القدر، ولكل أجل كتاب.

كان قد ارتدى زي العمل الذي لم يكن جلبابا، وما لبث أن ضغط الزر، لتدور الماكينة.. لاحت ابتسامته، ودمعت عيناه، واتبع "أبو العيون" صاحبه، ودارت الرحى ولم تتوقف إلا بعض ساعة كل صباح.. وعلى مدى السنين، لم تغلق بوابة الطاحون■

متى؟

د.حيدر البدراني – سورية

متى تكون رجلا
تحيي بنفسي أملا

تذكي بقلبي شعلة
من قبلُ كانت شعلا

تبعث فيها كلما
مات ووافاه البلى

يا مشعلاً لا يبتغي
عن هدي ربي حولا

إن الفتى في العيش من
يحسن منه عملا

بالقول والفعل به
المرُّ يغدو عسلا

ومن إذا ناديت لم
يحجم ولبى أولا

يجيب لو لاقى الردى
دوماً إذا ما سئلا

ومن يعيش خاشعاً
لمن يراه وجلا

يسير لا يلوي على
أمر بدا مبتذلا

ذاك الفتى هو الذي
يمضي بنا نحو العلا

قلوب الوردِ تنتحبُ

أشرف محمد قاسم – مصر

مِن أين ينبعُ نهرُ الحُبِّ، والغضبُ ... تبكي دمشقُ، فتمحو دمعَها حَلَبُ!

مَنْ أطفأَ النورَ في عينيكِ سيدتي؟ ... يا دوحةً حُسنُها يزهو به العربُ

مَنْ أدخلَ الطفلةَ البيضاءَ مقصلةً؟ ... بأيِّ ذنبٍ قلوبُ الوردِ تنتحِبُ؟

يا سوريا الحُبِّ، يا ميدانَ عِزَّتِنا ... ستحرقُ النَّارُ مَنْ بالنارِ قد لعِبوا

كم مِن طُغاةٍ أرادوا شقَّ وَحدتِنا ... دارتْ عليهم رَحَى الأيامِ فانتكَبوا

تاريخُنا لا يرى عُذراً لطاغيةٍ ... ومَنْ بأحلامنا في حانِهم صخِبوا

ومَنْ يُشَرِّدُ شعباً عن ثرى وطنٍ ... يُلقي به للمنافي أحمقٌ.. خَرِبُ

لن تستطيعَ المنافي كسرَ عِزَّتِهم ... لأنهم في المنافي سادةٌ نُجُبُ

قلوبُنا مثل نور الشمسِ مُشْرَعَةٌ ... في كُلِّ قلبٍ لهم بيتٌ ومُنْقَلَبُ

لن يُغلقَ اللهُ باباً في وجوهِهمُ ... أمَّا الطُّغاةُ فمثواهم هو الهرَبُ

عدن الجمال

ناصر بن حيدرة – اليمن

ما غرّد الشعرُ إلا هزَّهُ شجنُ ... إلى رحابِ هواكِ العذْبِ ياعدنُ

هذا جمالُكِ تُغريني مفاتنُهُ ... غضّاً طريّاً وهذا وجهكِ الحَسَنُ

جميلةٌ أنتِ شطآنٌ تداعبها ... قلائدُ الصخرِ والكثبانُ والسفنُ

وفي زواياكِ آمادٌ وأمكِنةٌ ... تحكي من المجدِ ما يصغي له الزَّمَنُ

هنا "أبانٌ" هنا تاريخُ أزمنةٍ ... هنا تلاقت على خُلجانكِ المُدنُ

ما شِختِ ياعدنَ العذرا وما وَهَنتْ ... قواكِ مهما تمادت فوقكِ المِحنُ

نبكي ومازلتِ رغم القهرِ ضاحكةً ... تَسْلو وقد غار في أعماقنا الحَزَنُ

المهارات الوظيفية للغة العربية

تأليف الدكتور وليد إبراهيم قصاب

عرض: التحرير

إن اللغة هي من أعظم نعم الله على الإنسان؛ فبها تواصله مع الآخرين من بني جنسه، وتعبيره عن جميع شؤون حياته، وإن استخدام الإنسان للغة مميز له من الحيوان، وهي تبوئه بين مخلوقات الله منزلة خاصة؛ حتى عرف بعضهم الإنسان بأنه "حيوان ناطق"، فاللغة هي بوابة الإنسان إلى العالم، إنها "ليست رباطا بين أبناء المجتمع في جيل بعينه فحسب، بل هي كذلك رباط بين الأجيال المتعاقبة من المجتمع الواحد؛ إذ هي أداة الاستمرار الشعبي بين القرون.."[١]، والاتصال بجميع المعارف والثقافات والخبرات. وكثيرا ما يأتي القصور العلمي لدى الطلبة والمتعلمين من ضعف المهارات اللغوية لديهم، وعدم قدرتهم على التعبير بها، أو استخدامها الاستخدام المطلوب.

واللغة كذلك فكر الإنسان وهويته وثقافته وشخصيته، وهي رمز حضارته وتاريخه، ومحدد انتمائه. واللغة العربية تضيف إلى ذلك كله أنها دين، أو أنها من الدين يقول السيوطي: "لاشك أن علم اللغة من الدين؛ لأنه من فروض الكفايات، وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة"[٢].

وقال الإمام الشافعي: "على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويتلو كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد، وغير ذلك.."[٣]

وقال ابن تيمية: "إن نفس العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهمان إلا بفهم العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[٤]

وكان جيل الصحابة وعلماء الأمة وكبراؤها يعتزون بلغتهم العربية أيما اعتزاز؛ وهي عندهم من علامات السمو؛ كان عمر بن الخطاب يقول: "تعلم العربية؛ فإنها تثبت العقل، وتزيد في المروءة"[٥]، وبلغ من تعظيمهم للغة القرآن الكريم أن عدوا الخطأ فيها، واللحن في نطقها، من

الذنوب والعيوب، حتى كان عبد الملك بن مروان يقول: "اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس" وكان ابنه مسلمة يقول: "اللحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه"[٦].

بل كان بعضهم يعاقب على اللحن في الكلام؛ كتب كاتب أبي موسى إلى عمر بن الخطاب: "من أبو موسى.."، فكتب إليه عمر: "إذا أتاك كتابي هذا فاجلده سوطاً، واعزله من عملك.."[٧].

وكان عمر إذا سمع رجلا يخطئ قبح عليه، وإذا أصابه يلحن ضربه بالدرة.."[٨].

ذلك بعض من منزلة اللغة عامة، والعربية على وجه الخصوص، مما يجعل العناية باللغة، وتعلمها وتعليمها على الوجه الأمثل مطمحا يسعى إليه رجال التربية والتعليم، ورجال الثقافة والعلم والأدب.

وقد تطور علم اللغة في العصر الحديث تطورا هائلا، تطورت مناهجه وأشكاله وإجراءاته وطرق تعليمه، وربطه بعضهم بالعلم، ورأى أن اللغة بنية منضبطة ذات خصائص معينة دقيقة، يمكن تطبيقها على كثير من الأنشطة المعرفية[٩].

وكان هنالك اتجاه في الدرس اللغوي يعنى بوظيفة اللغة، سواء أكانت وظيفة معرفية، أم كانت وظيفة انفعالية. وهو ما عرف بـ"الاتجاه الوظيفي"، أو "علم وظيفة اللغة"، وقد اعتنى بهذا العلم – بشكل خاص المشتغلون بما سمي "التداولية" الذين اهتموا

د. وليد قصّاب

باللغة في إطار الاستعمال، فعنوا بالمتكلم، والمخاطب، والسياق، وظروف الاستعمال، وغير ذلك مما يتحكم في شكل اللغة المستعملة، والأسلوب الذي ترد عليه.

وقد ذهب علماء اللغة إلى أن الوظيفة الأساسية لأية لغة من اللغات هي "التواصل"، وما عدا ذلك من وظائف اللغات فوظائف فرعية[١٠]. ولذلك فإن النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظوراً إليهما من وجهة نظر تداولية"[١١].

وتحدث العلماء عن عناصر الاتصال اللغوي حتى يحقق غايته، وهي" قناة الاتصال" أي الوسيلة التي ينقل بها التعبير، و"السياق" أي المقام الذي يقال فيه الكلام، و"الشفرة" أي الرموز والقواعد التي ينبغي أن يعرفها كل من "مرسل" اللغة، و"مستقبلها"، حتى يتم التفاهم بينهما. فلو خاطبنا أحدا، وبدا عاجزا عن فهم ما نقول، فلا بد من أن نسأل: أيخفى عليه موضوع القول، أي "الرسالة"؟ أم تخفى عليه الرموز والألفاظ المستعملة؟ أم أن السياق غير ملائم؟ أم أن وسيلة الاتصال غير واضحة أو معبرة؟

إن اللغة الجيدة هي اللغة المنضبطة بمعايير الصحة والسلامة، وتؤدي وظيفتها التواصلية على أحسن وجه، وهو ما تسعى إليه اللغة الوظيفية.

وإن المقصود بتعليم اللغة وظيفيا أن يهدف تعليمها إلى تحقيق القدرات اللغوية عند المتكلم حتى

يتمكن من ممارستها في المواقف المختلفة، أي من خلال النظر إلى اللغة على أنها أداة اجتماعية، أي ذات وظيفة اجتماعية.

إن اللغة سلسلة من المهارات يتعلمها المتعلم بقصد استخدامها وتوظيفها وربطها بمواقف الحياة المختلفة؛ إذ لا معنى لهذه المهارات إذا لم تستعمل، أو بقيت مجرد آراء نظرية محفوظة.

ومهما اختلفت وجهات النظر حول اللغة الوظيفية فإن هنالك مجموعة من السمات العامة التي تميزها، وقد يكون من أبرزها:

- الاهتمام بسلامة اللغة: نحوا وصرفا وإملاء. وإذا كانت اللغة الوظيفية معنية بالتواصل بشكل أساس؛ فإن هذا لا يعني أنها ليست معيارية، أو أنها تساهل في موضوع الخطأ والصواب كما قد يوحي بذلك كلام بعضهم، أو أنها مطالبة بتغيير مصطلحات اللغة العربية المستقرة التي أخذت طابع الرسوخ والثبات كما طالب بذلك بعضهم[١٢].
- وضع هذه اللغة في مقام التداول، أي الاستخدام الحيوي اليومي. وهذا يعني ربطها بالحياة؛ لكي يستطيع مستعملها إنتاج العبارات والأساليب التواصلية المناسبة للمواقف الحيوية المختلفة.
- وما سبق يعني تنوع أساليب اللغة بحسب ما يسمى في البلاغة العربية "مقتضى الحال"، أو "لكل مقام مقال"، فأساليب اللغة الوظيفية ليست واحدة، بل تختلف بحسب الموضوع، والمخاطب، والمقام، وغير ذلك من الاعتبارات؛ فهنالك خطاب إعلامي حكومي رسمي، وهنالك خطاب إشهاري تجاري، وهنالك خطاب ديني، أو وطني، أو غير ذلك.
- ينبغي أن تلاحق هذه اللغة الوظيفية التي نتحدث عنها مستجدات الألفاظ والعبارات، وتحاول استعمالها، بعد ضبطها في إطار قواعد اللغة ومعاييرها.
- وفي الوقت نفسه تبتعد عن المستهجن الغريب من الألفاظ، وما أضحى مهجورا غير مستعمل، متجهة إلى اليومي الحيوي ما دام في إطار الصحة والصواب.

إن اللغة الوظيفية تحاول ما أمكن تضييق الهوة بين ما يسمى عندنا الفصيح والعامي، بما يقدم لغة حيوية سهلة، تتسم بالمرونة والبساطة والسهولة، وتقدم المفردات والعبارات

الصحيحة الأكثر استعمالا.

- تعتمد هذه اللغة الوظيفية عند تدريسها أو تقديمها على محاكاة النموذج أكثر من اعتمادها على تقرير القواعد أو تعليم مسائل النحو.
- ويترتب على ما سبق أن العناية بضبط الكلام، وإيراده بشكل صحيح، أهم من معرفة قواعده[١٣]. وإن كانت معرفة القواعد عونا على هذا الضبط، وإرشادا إليه.

والواقع أن هنالك أكثر من طريقة لتعليم اللغة؛ تحدث بعضهم عن "طريقة استقرائية"، وذلك بأن تورد أمثلة على بحث معين، أو قاعدة ما، ويطلب من المتعلم ملاحظتها، ثم تجمع تلك الملاحظات التي يبديها المتعلمون ليتشكل منها القاعدة، ثم تطبق على أمثلة جديدة.

وهناك "الطريقة القياسية" وهي تورد القاعدة أولاً، ثم تساق الأمثلة والشواهد لتوضيح هذه القاعدة[١٤].

وهنالك منهج جديد وهو الجمع بين الطريقتين السابقتين، وهو ما حاولنا تطبيقه في هذا الكتاب إلى حد ما، ولذلك اعتمد تقديم المادة فيه على:

- **القياس:** أي قياس حال جملة يستعملها الشخص على جملة مستعملة صحيحة.
- **المحاكاة:** أي محاكاة النموذج، وتقليده، والقياس عليه.
- **الاستقراء:** أي استقراء القاعدة وضبطها من أجل تعميمها.

وقد ركز هذا الكتاب على المهارات الوظيفية للغة العربية، أي على الأصول والقواعد الكبرى التي لابد من معرفتها لكل مستعمل هذه اللغة، فهو غير معني بخلافات النحويين مثلا، ولا بقضايا كثيرة لا تهم إلا المتخصصين فحسب، ولا بالمصطلحات الكثيرة التي لا تقدم شيئا ذا بال يعين على تعلم اللغة، أو يربي في المتعلم الملكات اللغوية المطلوبة.

إن النحو الوظيفي الذي عنى به هذا الكتاب هو مجموعة من القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو، وهي ضبط الكلمات، ونظام تأليف الجمل؛ وأن يسلم اللسان من الخطأ في الكتابة، وهذه القواعد النحوية التي تنهض بأداء الوظيفة الأساسية للنحو محدودة محكمة، وهي مما يحتاجه كل أحد لضبط لغته، وأما النحو التخصصي فهو ما يتجاوز هذه القواعد بكثير، إنه يدخل في الآراء المتعددة التي يسوقها النحويون، والمذاهب المختلفة لهذه القضية أو تلك، مما هو موجود – وينبغي معرفته – لكل متخصص في علم من العلوم. وهي مسائل كثيرة متشعبة، وبحوث دقيقة حفلت بها الكتب الكثيرة الواسعة.."[١٥].

إن ثلاث ملكات أساسية هي التي تهم في تعلم اللغة الوظيفية، وهي:

- ملكة **الحديث** بشكل صحيح واضح.
- ملكة **القراءة** بشكل صحيح خال من الأخطاء.
- ملكة **الكتابة** بشكل صحيح خال من أخطاء الكتابة والإملاء.

فليس مهماً، ولا مما يحض عليه متعلم لغة وظيفية أن يعرف مصطلحات النحو، أو أسماءها، أو إعراب الكلمات والجمل أو ما شاكل ذلك، ولكن المهم هو – كما ذكرنا– أن يتكلم، وأن يقرأ، وأن يكتب، بشكل صحيح مفهوم، ولكن

معرفة القواعد تعين على هذا الضبط، وتدل عليه.

إن القواعد النحوية المعروفة في كتب النحو – بتفريعاتها، وأسمائها الكثيرة – تعطى في اللغة الوظيفية أهمية ثانوية، وتحول القواعد إلى استخدامات مستعملة مألوفة، مما هو دارج بقدر الإمكان.

إن القصد الأساسي من النحو هو ضبط الكلام، واستقامة اللسان، وصيانته من الخطأ: قراءة وكتابة، ولذلك يقتصر وقوف هذا النحو – كما ذكرنا – عند المباحث والأساليب التي يكثر دورانها، ولا غنى عنها في الحديث والكتابة، ومن ثم يبتعد – في تعليم اللغة لغير المختصين عن جميع المسائل الفرعية، وعن كل ما لا يحتاج إليه؛ لأنه يعد نحواً غير وظيفي.

إن هذا الكتاب إذن ليس للمتخصصين في اللغة العربية، وهم – وإن استفادوا منه – ليسوا هم المستهدفين الأول به، بل إن المستهدفين الأول به هم عامة المتكلمين باللغة العربية، من طلاب، أو موظفين، أو إداريين، أو مثقفين، أو كتاب، أو غيرهم ممن يحرص على تعلم لغة

وظيفية ذات نفع اجتماعي، يمارسها ببساطة في شؤون حياته، وتقدم له الاحتياجات اللغوية الضرورية.

ولا أحسب أن من غير الميسور – كما يشير إلى ذلك بعضهم[١٦] – تحديد ما هو مشترك من القواعد والمسائل بين متعلمي اللغة التي لا يعفى أحد من تعلمها؛ إن ما يضبط اللغة مسائل معينة يمكن إدراكها، من خلال الاجتهاد والملاحظة الدقيقة.

إن ضبط اللغة لتكون صحيحة خالية من أخطاء القراءة والكتابة والتحدث هو الأمر الأساسي الذي تنصرف إليه عناية اللغة الوظيفية، وقد بدا لي – كما بدا لغيري من قبل[١٧] – أن ضبط أواخر الكلم في اللغة العربية متحقق – بشكل أساسي من خلال معرفة ما هو معرب – أي متغير الآخر من الأسماء والأفعال، وأما ما هو مبني منها – أي ما يلازم آخره حالة واحدة – فلا إشكال فيه، ما دام شكل الكلمة ونطقها باقيين على حالهما مهما كان موقع هذه الكلمة في الجملة؛ ولذلك عني هذا الكتاب بالأسماء والأفعال

المعربة خاصة، وبكل ما يتصل بها من الأدوات والعوامل التي يكون لها أثر في تغيير شكلها: قراءة، أو كتابة، ومر على ماهو مبني من الأسماء والأفعال مرا سريعا.

* * *

ويقع الكتاب في ثلاثة فصول، تناول كل فصل مهارة من مهارات اللغة العربية الوظيفية.

خصص الفصل الأول للمهارات الوظيفية النحوية، واندرج تحته -بعد تمهيد- مبحثان، أحدهما عن الأسماء المعربة بأنواعها المختلفة، والثاني الأفعال المعربة بحالاتها الثلاث. وكان الفصل الثاني لمهارات الكتابة الوظيفية؛ ولأن اللغة الوظيفية - وإن كانت تهتم بمهارات التعبير الوظيفي - لا تهمل الجماليات؛ فقد كان الفصل الثالث لبعض المهارات البلاغية، التي تقيم وجها من وجوه التعبيرات المجازية، وكان ثمة حرص أن تكون هذه التعبيرات مستمدة أو قريبة من واقع الحياة ومادتها اليومية.

أسأل الله أن ينفع بهذا الجهد، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يكون فيه إسهام لخدمة هذه اللغة المقدسة الحبيبة التي امتن الله علينا بها، فجعلها لغة هذا الدين؛ مما كان إعلانا صريحا عن عالمية هذه اللغة، وأنها أعظم لغات الأرض. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصدر الكتاب عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض، كرسي الشيخ عبد العزيز التويجري، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م، (٣٥٦) صفحة، مقاس (٢٤×١٧)■

الهوامش:

(١) اللغة العربية بين المعيارية والوصفية: تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب: ١٩٠٢هـ/١٩٩٢م.

(٢) المزهر: السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، عيسى البابي الحلبي، مصر (د.ت) ٣٠٢/٢.

(٣) روضة الإعلام بمنزلة العربية من الإسلام، لأبي عبد الله محمد بن علي بن الأزرق الحموي الأصبحي الغرناطي، تحقيق سعيدة العلمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٩م، ٩٦/١.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية، تعليق عصام حرستاني، محمد إبراهيم الزعلي، دار الجيل، بيروت: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٤٢.

(٥) روضة الإعلام بمنزلة العربية من الإسلام: ١٠٢/١.

(٦) عيون الأخبار، ابن قتيبة: ١٠٨/٢.

(٧) روضة الإعلام: ١١٩/١.

(٨) السابق: ١٢٠/١.

(٩) انظر: مناهج النقد الأدبي الحديث": وليد قصاب، دار الفكر، دمشق: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١١٨.

(١٠) انظر: مسائل النحو العربي، أحمد المتوكل، دار الكتاب العربي الجديد، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١.

(١١) دراسات في نمو اللغة العربية الوظيفي: أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٩.

(١٢) انظر: "اللسانيات والديداكتيك، نموذج النحو الوظيفي من المعرفة العلمية إلى المعرفة المدرسية، لعلي آيت توشان، دار الثقافة، الدار البيضاء: ٢٠٠٥م، ص١٢٨-١٤٠.

(١٣) السابق: ص١٢٨.

(١٤) انظر: "الوافي في طرق تدريس اللغة العربية: محمد محمود موسى، دار القلم، الإمارات - دار ابن الجوزي، القاهرة: ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ٥٠٢-٥٠٤.

(١٥) انظر: "النحو الوظيفي، "لعبد العليم إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٤،" (د.ت)، المقدمة.

(١٦) اللسانيات والديداكتيك: ص١٢٨.

(١٧) انظر: "النحو الوظيفي" لعبد العليم إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٣٨٩هـ/١٩٩٩م، المقدمة

إعداد: شمس الدين درمش

استكتاب للمشاركة في مؤتمر دولي

تعتزم رابطة الأدب الإسلامي العالمية (مكتب المغرب)، بتعاون مع جامعة محمد الأول (وجدة، المغرب)، ومركز الدراسات الإنسانية والاجتماعية بوجدة، وجمعية النبراس للثقافة والتنمية بوجدة، تنظيم مؤتمر دولي في موضوع:

"صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الآداب العالمية"، وذلك في أيام (٢٩-٣١ أكتوبر ٢٠٢٠م)، بمركز الدراسات البحوث الإنسانية والاجتماعية "منار المعرفة" بمدينة وجدة بالمملكة المغربية.

وبهذه المناسبة فإن الجهات المنظمة تدعو سيادتكم إلى المشاركة في هذه التظاهرة العلمية الكبيرة، وذلك باختيار أحد المحاور الذي يناسب تخصصكم العلمي، منوهة، في ذات الوقت، بما ستقدمونه في الموضوع من إسهام علمي مفيد. كما تلتمس الجهات المنظمة من سيادتكم الكريمة، مراعاة الشروط والآجال المنصوص عليها في ورقة المؤتمر. وفي الختام، تقبلوا فائق التقدير، وعظيم الاحترام، والسلام.

عن رابطة الأدب الإسلامي
العالمية (مكتب المغرب)
أ. د. حسن الأمراني

تنظيم مؤتمر دولي في موضوع:
صورة النبي محمد ﷺ في الآداب العالمية

ديباجة:

إن النبي محمداً ﷺ؛ هو الأنموذج الإنساني الكامل الذي تجسدت فيه كل المعاني الأخلاقية، والإنسانية الراقية، بوصفه خاتم الأنبياء، وحاملاً لرسالة عالمية، تدعو إلى الحق، والخير، والعدل، والسلام، أصلحت من حال البشرية في مسارها الطويل، فاستقرت تصوراً متعالياً عن النمطي والسائد في الضمير الجمعي والمنظور الإنساني، وإن أخذت صورة النبي ﷺ منحى آخر في كتابات بعض من سعى في تشويه صورة النبي، وسيرته، والطعن في نبوته ورسالته، حين تعاملت معه بعيداً عن القدسية الدينية التي تحترم الأنبياء، إلا أن هذه الصورة السلبية لم تكن الصورة الغالبة على من تناول سيرة الرسول ﷺ، من أدباء ومفكري العالم من الشرق والغرب. فقد صور أيضاً على أنه النبي، والقائد، وروح الرحمة والسلام والسعادة، ومنقذ البشرية.

ومما يذكر هنا أنه في الثاني من أكتوبر/تشرين الثاني ١٨٠٨م، التقى الأديب الألماني (غوته) والقائد الفرنسي (نابليون بونابرت) في "إرفورت" الألمانية، التي احتلها بونابرت، وناقشا السياسة، وتحدثا عن الأدب، وعندما علم نابليون أن (غوته) قام بترجمة "مسرحية محمد"، للفيلسوف الفرنسي (فولتير) إلى الألمانية، عقب قائلاً:"إنها لم تكن مسرحية جيدة، لأنها رسمت صورة فاسدة لفاتح عالمي، ورجل عظيم غير مجرى التاريخ".

وبعد هذا النقاش، قدم (غوته) تصوره عن النبي ﷺ في أعماله اللاحقة كرسول نموذجي، ذي شخصية سمحت له باستكشاف الفواصل بين النبي والشاعر، ولاسيما في كتابه الخالد: "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي West Diwan East"

وإذا تجاوزنا هذه النظرة الأوربية إلى غيرها من الآداب العالمية، فإننا نجد أن النبي ﷺ ليس مجرد شخصية تاريخية، بل رسولاً تمثل سيرته وتراثه مصدراً دائماً للتساؤل، والدهشة والإعجاب، انطلقت من إطار المدح الإيماني أو الإنساني، ثم تجاوزته إلى آفاق رمزية برع فيها الأدباء، وتخطت حالات إظهار الشوق له ولمبادئه، إلى البحث عنه منقذاً للعالم.

وهذا ما يحاول الملتقى بيانه في إطار تجلية صورة النبيﷺ في الآداب العالمية، والانفتاح عليه مرجعاً، ورؤية، ومخيالاً، وفناً.

* أهداف المؤتمر:

١. تأكيد تأثير النبيﷺ، بصفته (الإنسان الكامل)، في الثقافات والآداب العربية، والإسلامية، والعالمية.

٢- الكشف عن أهم الأعلام والأدباء الذين كتبوا عن النبيﷺ، وتمثلوا صورته في أجناسهم الأدبية، وطرائق تناولهم لشخصية الرسولﷺ.

٣- استقراء طبيعة الصورة النبوية في الآداب العالمية، على المستوى المرجعي، والإنساني، والرؤيوي، والتخييلي.

٤- الوقوف على أبعاد الصورة النبوية دينياً، وإنسانياً، وفنياً من خلال المعالجة الشاملة للأدب بمعناه: (التاريخ، والسيرة، والفلسفة، والحضارة).

٥. الانفتاح على الأفق الاستشرافي للصورة النبوية، في ظل مفاهيم العولمة، والعالمية، والحوار الحضاري.

• محاور المؤتمر:

١. صورة النبيﷺ في الأدب العربي:
أ. الأدب القديم.
ب. الأدب الحديث.

٢ - صورة النبيﷺ في آداب الشعوب الإسلامية:
أ. الأدب الفارسي.
ب. الأدب التركي
ج. الأدب الأردي.
د. الأدب الإفريقي.
هـ. آداب أخرى.

٣ صورة النبي في الآداب الأوربية:
أ. الأدب الفرنسي.
ب. الأدب الإنجليزي.
ج. الأدب الألماني.
د. الأدب الإيطالي
هـ. الأدب الإسباني.
و. الأدب الروسي.
ز. آداب أخرى.

٤. صورة النبيﷺ في الترجمات الأدبية إلى العربية، وإلى اللغات العالمية الأخرى (واقعاً، وآفاقاً).

• المشاركة في المؤتمر:

١. من أجل تقديم صورة علمية صحيحة وناصعة عن "صورة النبيﷺ في الآداب العالمية"، ينبغي أن تتسم الأوراق المقدمة بالدقة العلمية، والجدة، والموضوعية، وأن تكون ذات طابع تخصصي، وأن تلتزم بالشروط العلمية والمنهجية المتبعة في البحوث العلمية.

٢. تخضع البحوث لتحكيم لجنة علمية مكونة لهذا الغرض.

٣. يقدم الباحث ملخصاً عن بحثه في حدود صفحتين، ويتضمن الملخص موضوع البحث، وأهدافه، وإشكاليته، وعناصره الأساسية، وأن يكون ضمن محور من محاور المؤتمر.

٤- يرسل الباحث الملخص والبحث، مع نسخة من سيرته العلمية مختصرة، إلى البريد الإلكتروني المبين أسفله.

٥. يتراوح حجم البحث، بمراجعه وملاحقه، ما بين (٢٥-٤٠) صفحة، ويكون بخط (Arabic tradiona)، وبحجم (١٦) في المتن، و(١٤) في الهامش.

٦. بعد قبول البحث، يرسل الباحث الملخص الذي سيلقيه في المؤتمر، فيما لا يتجاوز عشر صفحات.

٧- موعد المؤتمر ومكانه: (٢٩-٣١ أكتوبر ٢٠٢٠م) بمركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية وجدة، المملكة المغربية.

- آخر أجل لتلقي الملخصات: ٣٠ مارس ٢٠٢٠م.
- تاريخ القبول النهائي للبحوث: ٣٠ يونيو ٢٠٢٠م.
- ترسل الملخصات، والبحوث، والسير العلمية إلى البريدين الإلكترونيين الآتيين:

hassanalalib74gmail com

(البريد الإلكتروني للأستاذ الدكتور حسن الأمراني، عضو مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس مكتبها الإقليمي بالمغرب).

MEZZAOUROU@GMAIL.COM

(البريد الإلكتروني للكتابة العامة لمركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة المملكة المغربية).

وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

مكتب عمان - اللجنة الإعلامية:

صورة القدس في شعر الدكتور سليم ارزيقات

استضافت رابطة الأدب الإسلامي العالمية (المكتب الإقليمي في عمان) الدكتور علاء الدين زكي القريوتي، أستاذ الأدب العربي القديم والحضارة الإسلامية، في قسم اللغة العربية وآدابها، في جامعة الزيتونة الأردنية، وعضو رابطة الأدب الإسلامي، حيث قدم محاضرة نقدية بعنوان «صورة القدس في شعر د.سليم ارزيقات»، وقد قدمه عضو الهيئة الإدارية د.حسام العفوري.

في البداية ألقى د.سليم ارزيقات قصيدته «يا قدس»، التي اختارها الناقد لأنها تمثل تجليات عديدة من التصوير الفني لمدينة القدس، لاسيما الشكل الكلي الدرامي، ثم شرع الناقد في تبيان مفهومه النقدي لمصطلح «الصورة الفنية»، ثم عرّف بديوان الشاعر موضوع الدراسة «لفلسطين أغني»، بأجزائه الخمسة: الوطنيات، والانتفاضة والفداء، والإسلاميات، والأناشيد، والمراثي.

وسبب اختيار هذا الديوان هو تجلي صور القدس فيها، في شتى تقنيات البناء الفني، ثم عرض الناقد نتائج استخدام أداة الإحصاء بوصفها إحدى أدوات استقراء صور القدس الفنية في الديوان، التي جاءت في محاور خمسة:

الصور الفنية المباشرة الخطابية، والصور الفنية القائمة على التلاعب اللفظي بهدف السخرية، والصور الفنية البلاغية، والصور الفنية الحسية، والصور الفنية العقلية النموذجية.

وفي نهاية المحاضرة أجاب الناقد عن المداخلات القيمة لكل من د.عبد الله الخطيب، ود.حسام العفوري، وأ.عبد الرحمن المبيضين، وتجدر الإشارة إلى مشاركة الندوة ثلة من طلبة قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الزيتونة الأردنية.

مكتب القاهرة– اللجنة الإعلامية:

منظومة الأدب الإسلامي في شعر الدكتور زهران جبر
تأليف الناقد الدكتور صلاح عدس

في أمسية أدبية رائعة بالقاهرة، أقامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة ليلة الاثنين الموافق (١٤ رجب ١٤٤١هـ/ ٩ مارس ٢٠٢٠م)، ندوة لمناقشة كتاب "منظومة الأدب الإسلامي في شعر الدكتور زهران جبر" تأليف الناقد الدكتور صلاح عدس.

قدَّم الندوة الشاعر محمد حافظ، فرحَّب بالحضور، وتحدَّث عن سيرة ذاتية مختصرة عن الدكتور زهران جبر، وشعره، ودواوينه، وبعض الميزات الموجودة في شعره؛ مثل: انتشار الرمز في قصائده، وكذلك انتشار الوجدانيات في أشعاره، وظهور الصبغة الإسلامية في شعره بقوة، ثم قدم الدكتور زهران جبر ليتحدث عن تجربته الشعرية، فتحدَّث عن بداياته الشعرية، وبداية طباعة دواوينه الشعرية التي تأخَّرت كثيراً، حيث طبع أول ديوان له عام ٢٠١٢م، وكان بعنوان "قبض الريح"، وبعده طبع ثلاثة دواوين أخرى، هي: "حصاد الوهم"، و"السراب"، و"تراتيل المساء"، وتحت الطبع ديوان "طلاسم التيه"، ثم ألقى قصيدته "يا مسجَّى" من ديوانه "تراتيل المساء".

وبعد ذلك تحدَّثت الشاعرة نوال مهني عن الشاعر الدكتور زهران جبر بأنه من أعمدة الرابطة، وعن إبداعه في تعبيره عن انفعالاته الشعورية، وإن كان يغلب في أشعاره مسحة الحزن، فإنه في كل قصيدة يعطي بريق أمل، هذا مع ظهور الصدق الشعوري في أشعاره عامة.

وقد تحدَّث الدكتور صلاح عدس عن كتابه "منظومة الأدب الإسلامي في شعر الدكتور زهران جبر"، فبدأ بالثناء على شعراء رابطة الأدب الإسلامي، وأنهم لا ينالون ما يستحقون في الدراسات الأدبية التي يسود فيها التزييف وتقديم من حقُّه التأخير، والعكس،

حتى إن الجوائز الرسمية صارت حكراً على أصحاب الأيديولوجيات المعادية للإسلام، ثم شرح المقصود بمنظومة الأدب الإسلامي، وردَّ على السؤال: ما علاقة الأدب بالإسلام؟ وضرب أمثلة عالمية فذكر أن هناك أدبًا يهوديًّا يعالج مشكلات اليهود في العالم، ثم تحدَّث عن الدكتور زهران جبر، وأنه يُكثر من استخدام الرمز في شعره، حتى إن الغزل يقصد منه الحقيقة، ثم تحدَّث عن منظومة الشعر العربي ومنظومة النثر، وأن لكل منهما خصائصَه، ومن ثم فلا تصح محاولة نسبة النثر للشعر وإن سمَّوه قصيدة النثر، أما الشعر العربي فلا يعرف إلا القصيدة العربية، ثم تحدَّث عن الشعرية التي تعتمد على الموسيقا والصور، ثم خلص إلى أن شعر الدكتور زهران جبر يتوفَّر فيه كل خصائص الشعر من حيث الشكل والمضمون.

ثم ألقى الشاعر محمد فايد عثمان قصيدة بعنوان "في تكريم الدكتور زهران جبر"، ثم ألقت الشاعرة نوال مهني قصيدة "تحية وتهنئة للدكتور زهران جبر"، ثم ألقى الدكتور زهران جبر قصيدته "ارقص كما..."، ثم ألقى الشاعر محمد الشرقاوي قصيدته "ابن الجنوب" إهداء للدكتور زهران جبر، ثم تحدث كل من الأدباء: الدكتور ربيع شكري، والقاص محمود مبروك، والدكتور غريب جمعة، والدكتور شوقي السباعي، والشاعر عبدالحميد ضحا، والأستاذ سيد الشاعر، والأستاذ ممدوح عودة، في كلمات موجزة عن جوانب في شخصية الدكتور زهران جبر.

إصدارات جديدة

- منظومة الأدب الإسلامي في شعر د.زهران جبر، تأليف د.صلاح عدس، نشر وتوزيع مكتبة جزيرة الورد، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م. عدد الصفحات (٨٠)، حجم الكتاب (١٤/٢٠).

- منظومة الأدب الإسلامي في شعر د.صابر عبد الدايم، تأليف د.صلاح عدس، نشر وتوزيع مكتبة جزيرة الورد، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م. عدد الصفحات (٩٦)، حجم الكتاب (١٤/٢٠).

- ديوان موجة المد (المجموعة الثانية)، شعر د.محمد عثمان صالح، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م، الخرطوم- السودان.

- خطوة لبكرة مجموعة قصصية للأطفال والشباب، تم اعتماده بوزارة التعليم في مصر بقائمة كتب المكتبات للمرحلة الإعدادية، وهو من تأليف عضو رابطة الأدب الإسلامي الأديب محمد محمود محمد أبو العلا (الشرقاوي).

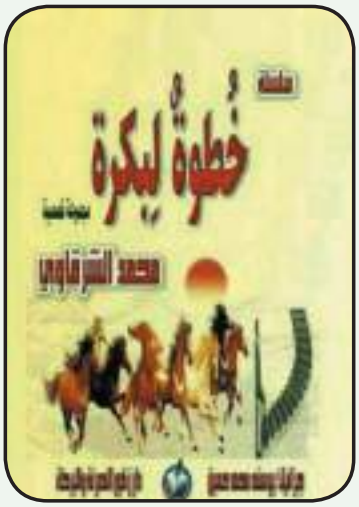

- ما بين الرامي والمرام (رواية)، تأليف أحمد عافشي، صدرت عن دار مدارك للنشر، ط١، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، الرياض، عدد الصفحات (٣١٢)، مقاس الكتاب: (١٤X٢١).

الإسفارُ عنِ الشوق

عامر زردة – سورية

أتـوقُ لـظـلِ بستاني ... لـتربِ ديـارنـا القَـانـي
أحِـــنُّ لـبـلـبـلٍ غنى ... على الأغصانِ ألحاني
أتـوقُ لنسمةٍ تحْيي ... فـؤادي بـعدَ حِرْمـانـي
لـسـاقـيـةٍ وشـــلالٍ ... وأحـصـنـةٍ وخُـــلان
"لـديكِ الـجـنّ" مُشْتاقٌ ... "لـتلّ الـشورِ" تحناني
أتـوقُ لماءِ "عاصينا" ... على شطيهِ بستاني
لأنـشُـقَ عِطرَ واديـه ... وأستـشْـفي بـرَيـحَـان
فـمـاءُ الـنـهرِ سلسالٌ ... شفاءُ المبعَدِ الـوانـي
أتـوقُ وأرتـجـي وصـلًا ... لأطـفـئَ فـيـهِ نـيراني
أتـــوقُ لـفـلّـنـا الأحلى ... وروعـةِ وردِنـــا القاني
يـمُـورُ الـحَـورُ نشواناً ... وهـيـمـانـاً لـتحنـاني
فـأرضُ الشَّـامِ أعشقها ... وأهـــواهَـــا وتـهـوانـي
أنـا بـشـرٌ وذا دمعي ... على أهـلـي وجيراني
فهلْ سأموتُ من ظمأ ... و"عاصِينا" بأحضاني
وهل سأكونُ في سهدٍ ... وضَـنكي بين أجفاني
كتمتُ الشوقَ أزمـاناً ... وسقمي صار كِتماني
وبُحْتُ فقيلَ في بوحي ... نـديـمٌ بـيـن نـدمـان
فـلا الأقـدارُ تسعفني ... ولا ســرّي وإعـلانـي
مُعَنَّى مدنفٌ مضنى ... وبُـعْـدي هـاجَ أحزاني
ودمـعـي سـائـلٌ سيلاً ... على وطَـني وإخـواني
أنـا بـشـرٌ ولـي شـوقٌ ... وشـوقـي هـدَّ أركـانـي
أنـا بـشـرٌ ولـي أمـلٌ ... ولا أرضـى بـحِـرْمَـاني
أنـا بـشـرٌ وأمـنـيـتـي ... أمـوت بـتـربِ أوطـانـي
أحـبـائـي ولـــي أمـلٌ ... وطـولُ الـدربِ أعياني
ألا صبراً على البلوى ... فَـــدربٌ مـا لـــهُ ثـان
ألا اتحدوا ألا اعتصموا ... لـنـهدمَ صَـرحَـهُ الـوانـي
لتعلو شِرْعَـةُ الـباري ... ويـعـلـو صـوتُ قرآني

لا تقرأ

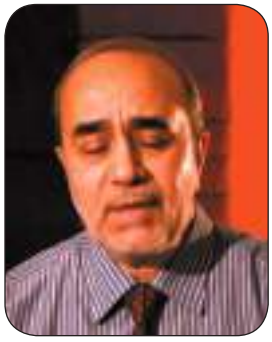

د. أحمد محمد كنعان - سورية

خلال جولتي الأسبوعية في المكتبات باحثاً عن رحيق يشبع بعض شهوتي للفكر.. وقع تحت يدي أمس كتاب فاضح لن أذكر عنوانه ولا مؤلفه حتى لا أساهم في نشر فضائحه وما فيه من دعارة نسوية، لكني سأكتفي بعرض عام به!

الكتاب عبارة عن ببليوجرافيا (Bibliography) يعرض أكثر من عشرين رواية عربية نسائية نشرت خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وهي روايات إباحية فاضحة يجاهر فيها جسد المرأة بطقوسه الإباحية في عري تام، وعبارات سافرة لا حجاب فيها ولا حياء، وهو كتاب يزعم مؤلفه أنه دراسة نقدية عن الجنس في الأدب العربي المعاصر، لكني لم أجد في الكتاب غير ترويج مجاني للإباحية، فهو لا يقدم دراسة بالمعنى الأدبي النقدي، لكنه يختار من هذه الروايات مشاهد إباحية اقتطعها عن عمد ليس بدافع الأدب وإنما بدافع الترويج للدعارة.

فالروايات إجمالاً تتحدث عن الرغبات السرية لنساء لا يرتوين إلا بالشذوذ الذي يعتبرنه حرية شخصية، ويرين الرجال مجرد "أدوات جنسية".

إنه كتاب يحكي حكاية الفلسفات المادية التي غزت ديار العروبة، فأثمرت هذا الأدب الإباحي الذي يشوه قداسة العلاقات الزوجية، بتصوير الزواج مؤسسة فاشلة ينبغي أن نعلن إفلاسها ونغلق أبوابها، لتتحول بيوتنا إلى مواخير..، وهذه النظرة إلى الزواج تكاد تكون ثيمة موسيقية نشاز في كل الروايات المذكورة، مما يدل على أن وراء هذه السيمفونية الداعرة (مايسترو) شيطان هو الذي يكتب النوتات التي تسمى خطأ روايات!.

ففي إحدى الروايات تسأل المرأة الرجل الذي يزني بها: هل أنت متزوج؟ فيجيبها بكل صفاقة: أحياناً. ويتابع معللاً تفضيله العلاقات العابرة على الزواج: "أنا أرفض أن أمتلك شخصاً يطالبني بالوفاء بحجة ورقة ثبوتية لا تساوي عندي ثمن الحبر الذي كتبت به".!

والروايات مليئة بمثل هذه المواقف والتعابير التي تنفر من الزواج، وتروج للعلاقات المحرمة، تحت ستار الحرية والدفاع عن المرأة، وفي هذه النظرة إلى حقوق المرأة امتهان رخيص لها وإهدار مؤسف لكرامتها.

والمهم أنني خرجت من تصفح الكتاب مذهولاً، إذ اكتشفت حجم الأدب الفضائحي الذي باتت رائحته تزكم أرفف مكتباتنا العربية. وهو أدب يروج قصص نساء شاذات يمارِسْن كل أشكال الشذوذ الجنسي، ويفتخِرْن به، بل يصوِّرْنه شكلاً من أشكال الحرية التي حرمتها الأديان دون منطق علمي، حسب رأي إحداهن.

وخلاصة الكلام.. أننا برفضنا لهذا النوع من الأدب المكشوف لا ننفي وجود أمراض وعلل وممارسات جنسية وغير جنسية تظلم المرأة في بعض مجتمعاتنا، وهي ممارسات نرفضها بلا تردد جملة وتفصيلاً، لإيماننا بحق المرأة أن تستمتع بجسدها كما هو من حق الرجل، لكن في إطار الميثاق الغليظ الذي يكفل قيام علاقات أسرية سليمة بريئة من الخيانة ومن المرض، وتحفظ الحقوق■

الأدب الإسلامي

١٠٦

مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية - العدد (١٠٦) ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

الانفتاح النقدي عند الدكتور عماد الدين خليل

د. إسماعيل إبراهيم المشهداني

الأدب الإسلامي والتحديات الفكرية المعاصرة

د. مصطفى عطية جمعة

رمضان في مرآة أمير البيان أحمد حسن الزيات

محمد أحمد عبد القادر محمد

العلاقة بين الرجل والمرأة بين القرآن الكريم والشعر العربي

د. زينب بيره جكلي

رؤية إسلامية لأدب الأطفال في أشعار وقصص محمد الشرقاوي

د. صلاح عدس